

# الفرع المذبح ووفاء الذبيحة مع المبتدئ

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة  
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

حَقَّقَهُ

الدكتور صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد  
بيروت • لبنان

جميع الحقوق محفوظة

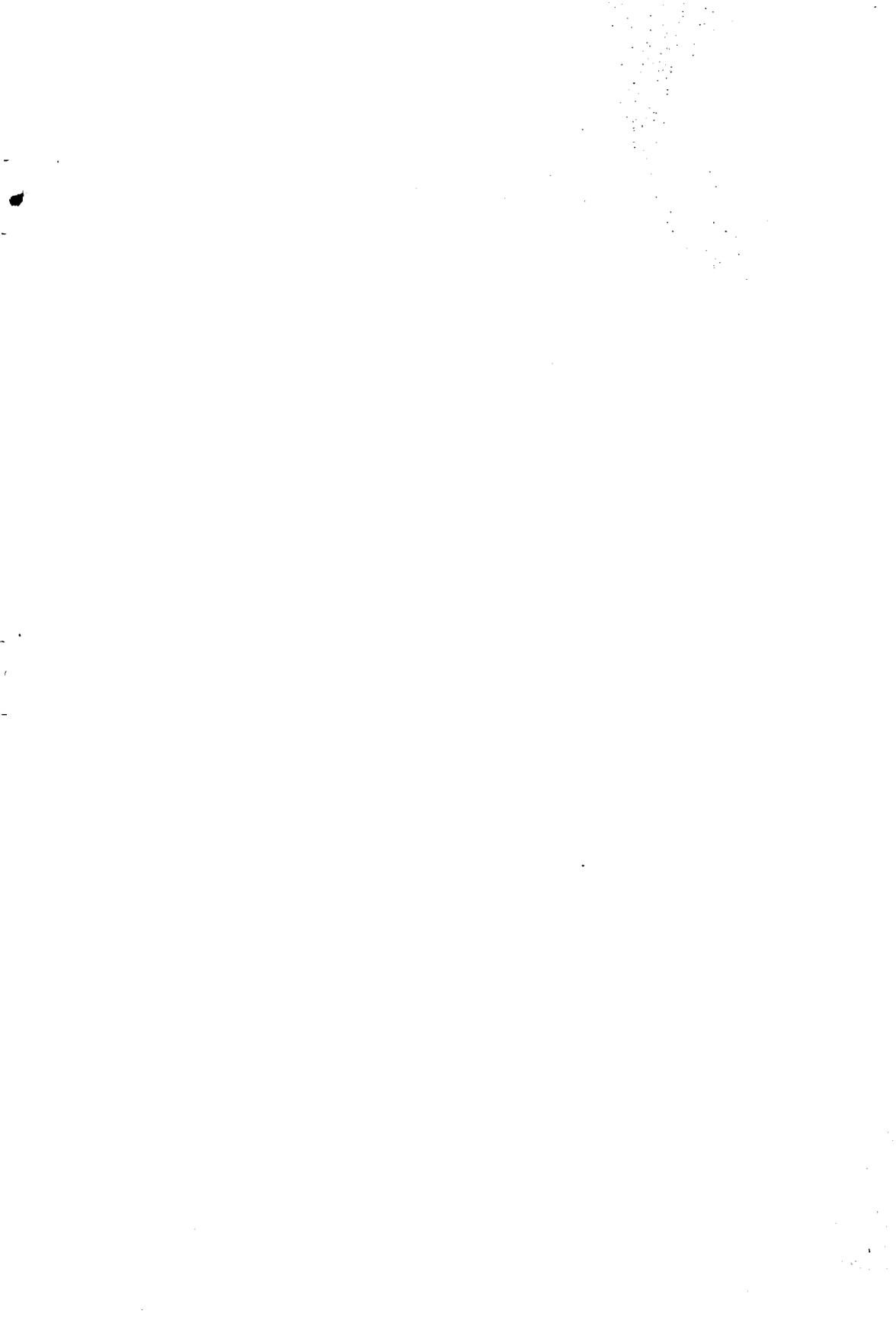
الطبعة الأولى

عن دار الكتاب الجديد

بيروت ، ١٩٧٦ - ١٣٩٦ هـ

من كلام شيخ الاسلام

تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية  
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَهُوَ حَسْبِي

انّ من المزايا التي تفرّد بها الاسلام : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فقد أرسل الله تعالى رسوله ، صلوات الله عليه ، للناس كافة ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، حسب الشريعة التي انزلها . فقام الاسلام كله على هذا « الأمر » بنوعينه . فالاسلام كله « معروف » يجب اتباعه ، فإذا خرج الناس عن هذا « المعروف » أو خالفوه ، أتوا « بمنكر » ينبغي النهي عنه . فهو لا يمكن ان يُعرف إلا بهذا « الأمر » . لذلك من الواجب معرفة معنى « المعروف » ، ومعنى « المنكر » ، ثم معرفة معنى « الأمر » بها ، وطرقه ، ومجالاته ، وحدوده ، ومن يحقّ لهم القيام به .

ولا أعلم أحداً من العلماء فصلّ الكلام في هذا الموضوع ووضّحه كشيخ الاسلام ابن تيمية . فقد تكلم في كلام عالم خبير ، لا يفتب عنه من الشريعة ، قرآناً وسنة ، ومن آثار السلف وأعمالهم ، شيء . فأحسن فيما كتب وأجاد ، واستطرد في الكلام حتى أحاط بالموضوع ودقائقه ، ولم يدع شيئاً تجب معرفته إلا نوّه به أو ذكره ، ورسالته « في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » دليل ساطع على ما نقول .

ولا يبدو ابن تيمية في رسالته مفسراً ومحدثاً وفقهاً وأصولياً ، فقط ،

بل نراه عالماً نفسياً يحلل أهواء النفس الانسانية وطباعها على اختلافها ، في حبها وبغضها ، وأمرها ونهيها ، وكبرياتها وبغيبها ، وكرمها وشحها ، وشجاعته وجبنها وغير ذلك ، ويبيّن أسباب هذه الأهواء والطباع ، كما نراه عالماً اجتماعياً ، يشير إلى بعض قوانين علم الاجتماع . وعلى الجملة فإن رسالته تعتبر من جيّد ما جاد به فكره الشامل الخصب .

وما ذكره في رسالته ، طبّقه في سيرته وأعماله ، طول حياته . فنال بسببه من العداوات والأذى ما هو معروف . وكان في امره ونهيه دائماً شجاعاً جريئاً صابراً ، لا يخشى احداً .

وكنت أذمن قراءة رسالة شيخ الاسلام هذه ، وأجد في قراءتها كل مرّة أموراً جديدة . و كنت اوصي الكثيرين من الطلاب والمثقفين الراغبين في فهم الاسلام ، والكثيرين من علماء الدين ، بقراءتها وفهمها واتباع ما جاء فيها . فهي خير دليل لكل مسلم إلى الطريق القويم .

\*\*\*

نشر هذه الرسالة قبل عشرين عاماً ( ١٩٥٦ ) صديقنا الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله ، في كتاب جمع رسائل كثيرة مختلفة سمّاه « شذرات البلاطين من طبيّات كلمات سلفنا الصالحين » . وقد نفذت نسخ هذا المجموع ، وصعب على الطلاب الذين كنت أنصحهم بقراءة الرسالة ، أن يجدوها .

لذلك رأيتُ إعادة نشرها .

وقد اعتمدتُ في النشر على مخطوطة في خزانتنا ، ضمن مجموع اشتمل على كثير من رسائل شيخ الاسلام ، سبق أن نشرنا منه كتاب « الأعلام العلية في

مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، للحافظ أبي حفص البزار .

وهي الرسالة العاشرة في المجموع . تقع في ١٥ ورقة ، كتبت بخط نسخي عادي ، وجاء في عنوانها :

من كلام شيخ الاسلام

تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وجاء في آخرها : هذا آخر كلام الشيخ رضي الله عنه .

« نقله من أصل قديم الفقير لعفوة ربه موهوب بن احمد بن هلال الصالحى الحنبلي ، غفر الله ذنوبه بمنه وكرمه . ووافق الفراغ منه سلخ سنة اربعين وثمانماية بالمدرسة الجوزية بدمشق . والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل .

لم أجد ترجمة لكاتب النسخة . ويدل اسمه أنه كان من الحنابلة ، وقد كتبها بالمدرسة الجوزية بدمشق . وهي المدرسة التي أنشأها العلامة محيي الدين يوسف بن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ . وكان سفيراً للخلفاء العباسيين ، إلى بني ايوب . وقد حصل من ملوك الأيوبيين أموالاً بنى بها هذه المدرسة . وقُتل مع الخليفة المستعصم على يد هولاء ، عندما هاجم بغداد . وكان قد وقف المدرسة على الحنابلة<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر النعمي : تنبيه الطالب ١٩/٢ وما بعدها . وقد زالت هذه المدرسة . وقد حددنا موقعها في « مخطط دمشق القديمة » ، رقم ٦٩ ؛ وعن سفارات الشيخ محيي الدين الى ملوك الأيوبيين انظر كتابنا ؛ التاريخ الدبلوماسي في الاسلام .

وتغلب على النسخة الصحة ، وقد ذكر ناسخها أنه نقلها من أصل قديم ،  
والأخطاء التي فيها لا شأن لها .

وقد قارنا نصّ نسختنا بالنص الذي نشره الفقي رحمة الله . فوجدنا في  
نسختنا زيادة هامّة تتعلق بتحديد المعروف والمنكر ، لا توجد في المطبوعة .  
وهناك اختلاف في بعض الألفاظ ، أشرنا إليها في الهوامش .

وقد قسّمنا النص وجعلنا لأقسامه عنوانات تُسهّل معرفة موضوعاته .  
ونسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل عملنا كله صالحاً ، ولوجهه خالصاً .

صلاح الدين المنجد

بيروت ١٩٧٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، فحمدُهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا . من يهتد الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هاديَّ له .

وأشهدُ أن لا إله الا الله ، وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ، ليُظهره على الدين كله . وكفى بالله  
شهيدا . صلى الله عليه وآله ، وسلم تسليماً .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كُتُبَه ، وأرسل  
به رُسُلَه ، وهو من الدين . فإنَّ رسالة الله إمَّا إخبارٌ وإمَّا إنشاء .  
فالإخبارُ عن نفسه عزَّ وجلَّ<sup>(١)</sup> وعن خلقه ، مثل التوحيد ، والقَصَصَ  
الذي يندرجُ فيه الوعدُ والوعيد . والإنشاءُ : الأمر والنهي والإباحة .

وهذا كما ذكر في الحديث أن « قلُّ هو الله أحدٌ تعدلُ ثلث  
القرآن »<sup>(٢)</sup> . لتضمَّنْها الثلثَ الذي هو التوحيد . لأن القرآن توحيد وأمر  
وقصص<sup>(٣)</sup> .

---

(١) « عز وجل » ساقطة من ف

(٢) رواه البخاري في باب فضائل القرآن ، باب فضل قل هو الله أحد . ولفظه : فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » .

(٣) ف « اذ القرآن قصص وتوحيد وأمر » .

[ الأمر بالمعروف عند نبينا ، والأنبياء السابقين ]

وقوله : سبحانه في صفة نبيتنا ﷺ ( يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ) (١) هو بيان لكمال رسالته ، فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكلّ معروف ، ونهى عن كلّ منكر ، وأحلّ كلّ طيب ، وحرّم كلّ خبيث . ولهذا روي عنه ﷺ أنّه قال : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » (٢) . وقال في الحديث المتفق عليه : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّتْهَا (اب) وَأَكْمَلَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهَا ، وَيُعْجِبُونَ مِنْ حُسْنِهَا ، وَيَقُولُونَ : لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ . فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ » (٣) .

فيه أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكلّ معروف ، والنهي عن كلّ منكر ، وإحلال كلّ طيب ، وتحريم كلّ خبيث .

وأما من كان قبله من الرُّسُل فقد كان يُحَرِّمُ على أهمهم بعض الطيبات ، كما قال الله تعالى : ( فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ) (٤) ، ورُبَّمَا لم يحرم عليهم جميع الخبائث ، كما قال تعالى :

(١) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية ١٥٧ .

(٢) انظر الموطأ ، حسن الخلق ، ٨ ، ومسند أحمد ٣٨١/٢ ، وفيه : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

(٣) رواه الترمذی في الأمثال ٧٦/٨ ، والبخاری في صفة النبي ، ومنسجم في فضائل النبي . وانظر مسند أحمد ٢٤٤/٢ .

(٤) سورة النساء ، ٤ ، الآية ١٦٠ .

( 'كلُّ الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ، إلا ما حرّم إسرائيلُ على نفسه ، من قبل أن تُنزل التوراة' ) (١) .

وتحريم الحبائث يندرجُ في معنى النهي عن المنكر ، كما أنّ إحلل الطيبات يندرجُ في الأمرُ بالمعروف . لأنّ تحريم الطيبات هو (٢) بما نهى الله عنه ، وكذلك الأمرُ بجميع المعروف والنهي عن كلّ منكر لم (٣) يتمّ إلا لرسول الله ، الذي تسمّ الله به مكارم الاخلاق المنطوية (٤) في المعروف . وقد قال الله تعالى ( اليوم أكملتُ لكم دينكم ، وأتممتُ عليكم نعمتي ، ورضيتُ لكم الاسلامَ ديناً ) (٥) . فقد أكمل الله لنا الدين ، وأتمّ علينا النعمة ، ورضي لنا الاسلامَ ديناً .

[ هذه الأمة خير الأمم للناس ]

وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها حيث قال : ( كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (٦) ، وقال تعالى : ( آ٢ ) ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) (٧) .

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ٩٣

(٢) ساقطة من ف

(٣) ف « بما لم يتم »

(٤) ف « المندرجة »

(٥) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٣

(٦) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١١٠

(٧) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ٧١

ولهذا قال ابو هريرة رضي الله عنه « كنتم خير الناس للناس ، تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة » .

فبيّن الله سبحانه أنّ هذه الأمة خير الأمم للناس ، فهم أنفعهم لهم ، وأعظمهم إحساناً إليهم ، لأنهم كلّ خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (١) ، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم . وهذا كال النفع للخلق .

وسائر الأمم لم يأمروا كلّ أحد بكلّ معروف ، ولا نهوا كلّ أحد عن كلّ منكر ، ولا جاهدوا على ذلك ، بل منهم من لم يجاهد ، والذين جاهدوا كبنى اسرائيل فعامة جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم ، كما يُقاتل الصائل الظالم ، لا لدعوة إلى الهدى والخير ، ولا لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كما قال موسى لقومه : ( يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا تردوا على أدياركم فتقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين ، وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون . - الى قوله - : قالوا يا موسى لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنّنا هنا قاعدون ) (٢) . وقال تعالى : ( ألم تر إلى الملائكة من بني اسرائيل من بعد موسى ( ٢ ب ) إذ قالوا لنبينا لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟

---

(١) في ف زيادة ؛ « من جهة الصفة والقدر ، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد » .

(٢) سورة المائدة ، ٥٥ ، الآيات ٢١ - ٢٤ .

قالوا : وما لنا أن لا نُقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتالُ تولّوا إلا قليلاً منهم ، والله عليمٌ بالظالمين ( ١ ) . فمَللوا القتالَ بأنّهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم ، ومع هذا كانوا ناكلين عمّا أمروا به من ذلك . ولهذا لم تحِلّ لهم الغنائم ، ولم يكونوا يطأون بملك اليمن .

ومعلوم أن أعظم الأمم المؤمنين قبلنا هم بنو اسرائيل ، كما جاء في الحديث المتفق على صحّته في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « عُرِضَتْ عليّ البارحة الأنبياءُ بأمامهم . فجعل النبيّ يمرّ ومعه الرجل ، والنبيّ ومعه الرجلان ، والنبيّ ومعه الرهط ، والنبيّ وليس معه أحد . ورأيت سواداً كثيراً ، - وفي رواية : فإذا الظُّراب (٢) ممتلئة بالرجال - . فقلت : هذه أمّتي ! فقيل : هؤلاء بنو اسرائيل . ولكن انظر هكذا وهكذا . فرأيتُ سواداً كثيراً قد سدّ الأفق . قيل : هؤلاء أمّتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . فتفرّق الناس ولم يبيّن لهم . فتذاكر أصحاب النبيّ ﷺ فقالوا : أمّا نحن فولدنا في الشرك ، ولكنّا آمنّا بالله ورسوله . ولكن هؤلاء ابناؤنا . فبلغ النبيّ ﷺ فقال : هم الذين لا يَكْتَوُونَ ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يتطيّرون (آ٣) وعلى ربّهم يتوكّلون . فقام عكاشة بن محصن (٣) فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟

(١) سورة البقرة ، ٢٠ ، الآية ٢٤٦ .

(٢) الظراب الجبال الصغار ، واحدها ظرب بوزن كثف ( النهاية ١٥٦/٣ ) .

(٣) من فضلاء الصحابة ، شهد بدرأً واحداً والحدائق وسائر المشاهد مع رسول الله . توفي في

خلافة ابي بكر . ( الاستيعاب ١٠٨٠/٣ ) .

قال : نعم . فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟ فقال : سبقك بها عكاشة ، (١) .

ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة ، لأن الله تعالى قد أخبر أنهم يأمرون بكل معروف ، وينهون عن كل منكر . فلو اتفقوا على إباحة محرّم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبار عن الله تعالى أو خلقه بباطل ، كانوا مُتّصِفِينَ بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف . والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح ، بل الآية تقتضي أن ما لم تأمر به الأمة فليس من المعروف ، وما لم تنه عنه فليس من المنكر . إذ كانت أمرة بكل معروف ناهية عن كل منكر ، فكيف يجوز أن تأمر كلتها بمنكر ، أو تنهى كلتها عن معروف ؟

والله سبحانه وتعالى كما أخبر بأنّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله ( وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (٢) .

وليس من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) أن يصل أمرُ الأمر ونهي الناهي الى كل مكلف في العالم . إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة ، فكيف يُشترَطُ فيها هو من توابعها ؟ بل الشرط أن

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوي ، ولفظه اتم بما ورد هنا . -  
ومسلم في الايمان الحديث ٣٧١ ، ٣٧٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣٠ ، الآية ١٠٤ .

(٣) ف « واذا أخبر الله بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل ... » .

يتمكن المكلفون من وصول ذلك اليهم ، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله اليهم ، مع قيام فاعله بما يجب عليه ، كان التفريط ( ٣ ب ) منهم لا منه .

ولا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أحد بعينه (١) ، بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن .

ولمّا كان الجهاد من تمام ذلك ، كان الجهاد هو كذلك . فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أتم كلّ قادر بحسب قدرته . إذ هو واجب على كلّ انسان بحسب قدرته . كما قال النبي ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (٢) .

وإذا كان كذلك ، فمعلوم أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به .

[ ما هو المعروف ، وما هو المنكر ]

ومن النهي (٣) عن المنكر إقامة الحدود على من خرّج من شريعة الله . ويجب على اولي الأمر : وهم علماء كل طائفة وأمرؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله . مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها ، وكذلك الصدقات المشروعة ، والصوم المشروع ، وحج البيت الحرام ، ومثل الايمان

(١) ف « وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد .. » .

(٢) رواه مسلم في الايمان ، ٧٨ ، ٦٩/١ .

(٣) من هنا ساقط في ف .

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والايان بالقدر خيره وشره ،  
ومثل الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ومثل ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة ( ٤ آ ) ، ومثل  
إخلاص الدين لله ، والتوكل على الله ، وأن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما  
سواهما ، والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه ، والصبر لحكم الله ، والتسليم  
لأمر الله . ومثل صدق الحديث ، والوفاء بالعهود ، وأداء الأمانات إلى أهلها ،  
وبرّ الوالدين ، وصلة الأرحام ، والتعاون على البرّ والتقوى ، والاحسان إلى  
الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ، والصاحب والزوجة والمملوك ، والمدل  
في المقال والفعال ، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق ، مثل أن تصل مَنْ قَطَعَكَ ،  
وتعطي مَنْ حَرَمَكَ ، وتعفو عن ظَلَمِكَ .

ومن الأمر بالمعروف كذلك الأمر بالانتلاف والاجتماع ، والنهي عن  
الاختلاف والفرقة ، وغير ذلك .

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله ، وهو أن  
يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والقمر والكواكب ، أو كملك من الملائكة ،  
أو نبي من الأنبياء أو رجل من الصالحين ، أو أحد من الجن ، أو تائبيل  
هؤلاء أو قبورهم ، أو غير ذلك مما يُدعى من دون الله تعالى ، أو يستغاثُ  
به ، أو يُسجد له . فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرّمه الله على لسان  
جميع رسله .

ومن المنكر كل ما حرّمه الله ، كقتل النفس بغير الحق ، وأكل أموال  
الناس بالباطل ، بالغصب أو الربا أو المنسر ، والبيوع والمعاملات التي نهى عنها

رسول الله ﷺ ، وكذلك قطيعة الرحم ، وعقوق الوالدين ، وتطيف المكيال والميزان ، والإثم ، ( ٤ ب ) والبغي . وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله ﷺ . وغير ذلك (١) .

[ ليكن امرك بالمعروف ، بالمعروف ]

والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولهذا قيل :

ليكن أمرك بالمعروف ، بالمعروف ، ونهيك عن المنكر غير منكر .

[ في الأمر بالمعروف لا بد ان تكون المصلحة راجحة ]

واذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات لا بُدَّ ان تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة . إذ بهذا بُعثت الرُّسُلُ ، ونزلت الكتب . والله لا يحب الفساد ، بل كلُّ ما أمر الله به هو صلاح . وقد أثنى الله على الصالح والمصلحين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذمَّ الفساد والمفسدين في غير موضع . فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم يكن مما أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجبٌ وفعلٌ محرَّم . إذ المؤمن عليه ان يتقي الله في عباد الله ، وليس عليه هُدام . وهذا من معنى قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم ) (٢) ، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب . فإذا قام المسم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قام بغيره من الواجبات ، لم يضره ضلال الضال .

(١) الى هنا ينتهي الساقط من المطبوعة .

(٢) سورة المائدة ، ٥٥ ، الآية ١٠٥ .

[ كيف يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ]

وذلك يكون تارةً بالقلب ، وتارةً باللسان ، وتارةً باليد . ( ٢٥ ) .

فأما القلبُ فيجب بكلِّ حال . إذ لا ضَرَرَ في فعله ، ومَنْ لم يفعله فليس هو بمؤمن ، كما قال النبي ﷺ « وذلك أدنى ، أو أضعف الإيمان <sup>(١)</sup> » .

وقال : « ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » <sup>(٢)</sup> .

وقيل لابن مسعود رضي الله عنه : مَنْ مَيَّتْ الأحياء ؟ فقال : الذي لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكرًا .

وهذا هو المفتون الموصوفُ بأنَّ قلبه كالكوز مُجَخَّياً ، في حديث حَدِيثُ بن اليان ، رضي الله عنها في الصحيحين « تُعْرَضُ الفتنُ على القلوب عرضَ الحَصير . الحديث » <sup>(٣)</sup> .

[ واقع الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ]

وهنا يغلط فريقان من الناس .

فريق يترك ما يجب عليه من الأمر والنهي ، تأويلاً لهذه الآية كما قال

---

(١) في سنن ابن ماجه ، ابواب الفتن ٦/٣٣٧ : « من رأى منكراً فليُنكره بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه ، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، وأخرجه احمد ومسلم في الإيمان ، والنسائي وابن ماجه في كتاب الفتن .

(٢) انظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، الحديث ٨٠ ، ٧٠/١ ، وصحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، ولفظه : يقال للرجال ما أعقله وما أظرفه وما أجده ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان » .

(٣) انظر صحيح مسلم ، باب كتاب الإيمان ، الحديث رقم ٢٣١ ، ١٢٨/١ .

ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : « أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية ( عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ) ، وإنكم تضعونها على غير موضعها . وإنسي سمعت النبي ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » (١) .

والفريق الثاني : من يريد أن يأمر وينهى ، إما بلسانه وإما بيده مطلقاً ، من غير فقه ولا حلم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ( ه ب ) ، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني : سألت عنها - أي الآية - رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وانها عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمراً لا يدان لك به ، فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائك أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الحجر ، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله » (٢) .

فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع لله ولرسوله ، وهو معتد في حدوده ، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي ، كالتواجر والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما آتاه الله من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك ،

(١) رواه الترمذي في كتاب الفتن : باب ما جاء في نزول المذاب إذا لم يغيّر المنكر . ولفظه ... « وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله .. » ٣٣٥/٦ .

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ، ولفظه كما ورد هنا حق قوله : لا يدان لك به ، ثم قال : فعليك بخويصة نفسك . فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن على مثل قبض على الحجر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله « ١٣٣١/٢ .

وكان فسادُه أعظم من صلاحه (١) .

[ يجب الصبر على جور الأئمة ]

ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة ، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة ، وقال : أدوا إليهم حقوقهم ، وسلوا الله حقوقكم ، (٢) .

[ قتال الأئمة عند أهل السنة والمعتزلة ]

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة : لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة ، وترك القتال في الفتنة .

وأما أهلُ الأهواء كالمعتزلة فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم .

وتجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة : التوحيد الذي هو سلب الصفات ، والعدل الذي هو التكذيب بالقدر ، والمنزلة بين المنزلتين ، وإنفاذ الوعيد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فيه قتال الأئمة (٣) .

[ القاعدة التي تتبع في الأمر والنهي ]

وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تراحت ، فإنه يجب ترجيح الرجح منها فيما إذا

---

(١) قوله : فيأتي بالأمر .. الى صلاحه ، أضيف في الهامش .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن ، باب : ما جاء في الأئمة ٣٥١/٦ ؛ والبخاري في

علامات النبوة والفتن ، ومسلم في المغازي ، وأحمد ٣٨٤/١ .

(٣) في ف بعد ذلك : وقد تكلمت على قتال الأئمة في غير هذا الموضوع .

ازدحمت المصالح والفساد ( ٢٦ ) وتعارضت المصالح والفساد .

فإن الأمر والنهي - وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة - فيُنظرُ في المعارض له . فإن كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من الفساد أكثر ، لم يكن مأموراً به ، بل يكون مُحَرَّمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته .

[ يجب رد كل شيء الى ميزان الشريعة ]

لكن اعتبار مقادير المصالح والفساد هو بميزان الشريعة . فمقي قدر الانسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر ، وقل أن تغوز النصوص من يكون خيراً بها وبدالاتها على الأحكام .

وعلى هذا إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لا يفرقون بينها ، بل إما أن يفعلوها جميعاً ، أو يتركوها جميعاً ، لم يحز أن يؤمروا بمرئوف ولا أن ينهوا عن منكر . بل يُنظر ، فإن كان المعروف أكثر أمر به ، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر . ولم ينه عن منكر يستلزم تقويت معروف أعظم منه . بل يكون النهي حينئذ من باب الصدق عن سبيل الله ، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله ﷺ عليه وسلم ، وزوال فعل الحسنات .

وإن كان المنكر أغلب ، نهى عنه . وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر ، وسعيًا في معصية الله ورسوله ( ٦ ب ) .

وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بها ولم ينه عنها . فتارة

يصلح الأمر ، وقارة يصلح النهي ، وقارة لا يصلح أمرٌ ولا نهْيٌ حيث كان المعروف والمنكر متلازمين . وذلك في الأمور المعينة الواقعة .

وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقاً ، ويُنهى عن المنكر مطلقاً .

وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمرُ بمعروفها ويُنهى عن منكرها ، ويُحمد محمودها ، ويُذم مذمومها ، بحيث لا يتضمّن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه ، أو حصول منكرٍ فوقه . ولا يتضمّن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه ، أو فوات معروف أرجح منه .

وإذا اشتبه الأمرُ استبان المؤمنُ حتى يتبين له الحق ، فلا يقدم على الطاعة إلاّ بعلمٍ ونية ، وإذا تركها كان عاصياً . فتترك الواجب معصية ، وفعل ما نُهي عنه من الأمر معصية . وهذا باب واسع . ولا حول ولا قوة الا بالله .

ومن هذا الباب ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور ، لما لهم من أعوان . فإزالة المنكر بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم ، وينفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه . ولهذا لما خطب الناس في قضية الإفك بما خطبهم به ، واعتذر عنه ، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه حمي له سعد بن عبادة ، معُحسِنُ إيمانه وصدقه - ، وتعضب لكل منهم قبيلة حتى كادت تكون فتنة ( ٢٧ ) .

[ الحب للمعروف يكون موافقاً لحب الله .. ]

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه ، وإرادته لهذا وكرهته لهذا ، موافقاً لحب الله وبغضه ، وإرادته وكرهته الشرعيين ، وأن

يكون فعله للمحبوب ، ودفعه للمكروه ، بحسب قوته وقدرته . فإن الله لا يكلفُ نفساً إلاّ وُسْعَهَا ، وقد قال : ( فاتقوا الله ما استطعتم ) (١) .

[ حب القلب وبغضه ]

فأما حبّ القلب وبغضه ، وإراداته وكرهاته فينبغي أن تكون كاملة ، جازمة . لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الايمان . وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته .

ومتى كانت ارادة القلب وكرهاته كاملة تامّة ، وفعل العبد معها بحسب قدرته ، فإنّه يُعطى ثواب الفاعل الكامل . فإنّ من الناس من يكون حبه وبغضه لا بحسب محبة الله ورسوله ، وبغض الله ورسوله . وهذا من نوع الهوى ، فإن اتبعه فقد اتبع هواه ( ومن أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ) (٢) ، فإن أصل الهوى هو محبة النفس ، ويتبع ذلك بغضها .

[ حقيقة الهوى ]

والهوى نفسه ، وهو الحب والبغض الذي في النفس ، لا يُلام العبد عليه . فإن ذلك لا يملكه ، وإنما يُلام على اتباعه ، كما قال تعالى ( يا داود إنّنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ) (٣) ، وقال تعالى : ( ومن أضلّ ممن اتبع هواه

(١) سورة التغابن ، ٦٤ ، الآية ١٦ .

(٢) سورة القصص ، ٢٨ ، الآية ٥٠ .

(٣) سورة ص ، ٣٨ ، الآية ٢٦ .

بغير هدى من الله ( ١ ) ، وقال النبي ﷺ : ثلاث مُنجيات : خشية الله في السرِّ والعَلانية ، والقصدُ في الفقر والغنى ، وكلمة الحق في الغضب والرضى . وثلاث مُهلكات : شحُّ مطاع ، وهوى مُتَّبِع ، ( ٧ ب ) وإعجابُ المرء بنفسه .

والحبُّ والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمغفوض ، ووجَدُ وإرادة وغير ذلك . فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو بمن اتبع هواه بغير هدى من الله ، بل قد يتأدى به الأمرُ الى أن يتخذ الهه هواه .

[ إتباع الأهواء في الديانات السابقة ]

واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في المشتبهات ، فإنَّ الأوَّل حالُ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرِّكين ، كما قال تعالى ( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتَّبِعون أهواءهم ، ومن أضلُّ ممن اتَّبِع هواه بغير هدى من الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ) ( ٢ ) . وقال تعالى : ( صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . بل اتَّبِع الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ، وما لهم من ناصرين ) ( ٣ ) . وقال تعالى : ( وقد فصل لكم ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ . وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ

(١) سورة القصص ، ٢٨ ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة القصص ، ٢٨ ، الآية ٥٠ .

(٣) سورة الروم ، ٣٠ ، الآيات ٢٨ ، ٢٩ .

علم . إنَّ ربَّكَ هو أعلمُ بالمعتدين (١) . وقال تعالى : ( قُلْ يَا أَهْلَ  
الكتاب ، لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا  
مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ) (٢) . وقال تعالى :  
( ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ . قُلْ إِنَّ هُدَى  
الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من  
الله من وليٍّ ولا نصير ) (٣) . وقال في الآية الأخرى : ( ولئن اتبعت  
أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ( آ ٨ ) إنَّكَ إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ ) (٤) .  
وقال تعالى : ( وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ،  
وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) (٥) .

ولهذا كان مَنْ خرج عن موجب الكتاب والسنة ، من المنسويين إلى  
العلماء والعباد ، يُحمل من أهل الأهواء ، كما كان السلف رحمهم الله يسمونهم  
« أهل الأهواء » .

وذلك أن كلَّ مَنْ لم يتَّبِع العلم فقد اتبع هواه . والعلم بالدين لا يكون إلا  
بهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ . ولهذا قال الله تعالى في موضع : ( وإنَّ  
كثيراً ليضلُّون بأهواءهم بغير علم ) (٦) ، وقال في موضع آخر : ( ومنَّ

- 
- (١) سورة الأنعام ، ٦ ، الآية ١١٩ .
  - (٢) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٧٧ .
  - (٣) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٢٠ .
  - (٤) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٤٥ .
  - (٥) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٤٩ .
  - (٦) سورة الأنعام ، ٦ ، الآية ١١٩ .

أضلَّ مَن اتَّبَعَ هواه بغير هدى من الله ( ١ ) .

[ حب الانسان وبغضه يجب أن يكونا موافقين لأمر الله ورسوله ]

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ، ومقدار حبه وبغضه ، هل هو موافق لأمر الله ورسوله ؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ، بحيث يكون مأموراً بذلك الحب والبغض ، لا يكون متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله . فإن الله تعالى قد قال : ( يا أيها الذين آمنوا لا تُقدّموا بين يدي الله ورسوله ) ( ٢ ) .

ومن أحبّ أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوعٌ من التقدّم بين يدي الله ورسوله . ومجرد الحب والبغض هوى ، لكن المحرّم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله . ولهذا قال الله لنبيه داود : ( ولا تتبّع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديد ) ( ٣ ) .

فأخبر أن من اتّبَعَ هواه أضلّه ذلك عن سبيل الله . وسبيلُ الله هو هُدهاه الذي بعث به رسوله ، وهو السبيل إليه ( ٨ ب ) .

[ ما هو العمل الحسن ]

وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال

( ١ ) سورة القصص ، ٢٨ ، الآية ٥٠ .

( ٢ ) سورة الحجرات ، ٤٩ ، الآية ١ .

( ٣ ) سورة ص ، ٣٨ ، الآية ٢٦ .

وأفضلها وأحسنها . وقد قال تعالى : ( لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) (١) . وهو كما قال الفضيل بن عياض (٢) ، رحمه الله : أخلصه وأصوبه . فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة . فالعمل الصالح لا بُدَّ أن يُراد به وجه الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وحده ، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه ، وهو كلكم للشركي أشرك » (٣) .

وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام . وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله . وله خلق الخلق ، وهو حقه على عباده أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً .

والعمل الصالح الذي أمر الله به ورسوله هو الطاعة . فكل طاعة عمل صالح ، وهو العمل المشروع المسنون ، لأنه هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب . فهو العمل الصالح ، وهو الحسن ، وهو البر ، وهو الخير . وصدّه

(١) سورة الملك ٦٧ ، الآية ٢ .

(٢) من أكبر العلماء الصلحاء ، ثقة في الحديث ، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٨٧ هـ . من كلامه : من عرف الناس استراح . ( الاعلام ٣٦٠/٥ ) .

(٣) رواه ابن ماجه : من باب الرياء والسمة ٢٧٥/٢ ؛ وانظر كتاب الأحاديث القدسية ٢٩١/١ .

المعصية ، والعمل الفاسد ، والسبئية ، والفجور والظلم والبغي .

ولما كان العملُ لا بُدَّ فيه من شيئين : النية والحركة ، كما قال النبي ﷺ :  
« أصدق الأسماء حارث ومهام » ، فكلُّ أحد حارثٌ مهام ، له عمل  
ونية . لكنَّ النية الحمودة التي يقبلها الله ( آ٩ ) ويثيبُ عليها هي أن يُراد  
الله وحده بذلك العمل .

والعمل الحمود هو الصالح ، وهو المأمور به . ولهذا كان عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه يقولُ في دُعائه : « اللهم اجعل عملي ككلمة صالحاً ، واجعله  
لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً » .

وإذا كان هذا حدثٌ كلَّ عمل صالح ، فالأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر  
يجب أن يكون كذلك . هذا في حق الأمر الناهي بنفسه .

[ العمل لا يكون الا بعلم وفقه ]

ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلم وفقه . كما قال عمر بن عبد العزيز  
رضي الله عنه : « مَنْ عَبَدَ الله بغير علم كان يُفسد أكثر مما يُصلح » . وكما في  
حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه « العلم امام العمل ، والعمل تابعه » . وهذا  
ظاهر . فإنَّ القصد والعمل إن لم يكن بعلمٍ كان جهلاً ، وضلالاً واتِّباعاً للهوى  
كما تقدم . وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الاسلام . فلا بُدَّ من العلم  
بالمعروف والمنكر ، والتمييز بينهما ، ولا بُدَّ من العلم بمجال المأمور وحال المنهي .

ومن الصلاح أن يأتيَ بالأمر والنهي على الصراط المستقيم . والصراط المستقيم  
أقربُ الطرق ، وهو الموصل الى حصول القصد .

[ لا بد في الأمر والنهي من الرفق والحلم والصبر ]

ولا بُدّ في ذلك من الرفق ، كما قال النبي ﷺ : « ما كان الرفقُ في شيء إلا زانه ، ولا كان العُنفُ في شيءٍ إلا شانه » (١) . وقال ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العُنف » ( ٩ ب ) (٢) .

ولا بُدّ أيضاً أن يكون حليماً ، صبوراً على الأذى . فإنه لا بُدّ أن يحصل له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر يُفسد أكثر مما يُصلح . كما قال لقمان لابنه : ( وأمرٌ بالمعروف ، وإنه عن المنكر ، واصبرْ على ما أصابك ، إن ذلك من عزمِ الأمور ) (٣) .

ولهذا أمر الله الرُّسل ، وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالصبر . كقوله لحاتم الرسل ﷺ ، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة . فإنه أوّل ما أرسل أنزلت عليه سورة ( يا أيّها المدثر ) بعد أن أنزلت سورة ( اقرأ ) التي بها نبّئ . فقال الله تعالى : ( يا أيّها المدثر ، قم فأنذر ، وربّك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرّجز فاهجر ، ولا تمنننّ تستكثر ،

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر ، باب الرفق ، عن عائشة ولفظه : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه « ٢٠٠٤/٤ .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر ، باب الرفق . ولفظه عن عائشة : يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه « ٢٠٠٤/٤ . وانظر ابن ماجه ١٢١٦/٢ .

(٣) سورة لقمان ، ٣١ ، الآية ١٧ .

ولربك فاصبر<sup>(١)</sup> . فافتتح آيات الإرسال الى الخلق بالأمر بالإندار<sup>(٢)</sup> ،  
 وختمها بالصبر . ونفس الإندار أمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر . فعلم أنته  
 يجب بعده<sup>(٣)</sup> الصبر . وقال تعالى : ( واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا<sup>(٤)</sup> ) .  
 وقال تعالى : ( فاصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجرًا جميلًا )<sup>(٥)</sup> ، وقال :  
 ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل )<sup>(٦)</sup> ، وقال : ( فاصبر لحكم ربك ،  
 ولا تكن كصاحب الحوت )<sup>(٧)</sup> ، وقال : ( واصبر وما صبرك إلا بالله )<sup>(٨)</sup> ،  
 وقال : ( واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين )<sup>(٩)</sup> .

فلا بدّ من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر . العلم قبل الأمر والنهي ،  
 والرفق معه ، والصبر بعده . وإن كان كل من الثلاثة لا بُدّ ( آ١٠ ) أن  
 يكون مستصحباً في هذه الأحوال .

وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ، ورووه مرفوعاً ، ذكره القاضي  
 ابو يعلى في « المعتمد »<sup>(١)</sup> : « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان

(١) سورة المدثر ، ٧٤ ، الآيات ١ - ٧ .

(٢) ف : « بالندارة » .

(٣) ف : « بعد ذلك » .

(٤) سورة الطور ، ٥٢ ، الآية ٤٨ .

(٥) سورة المزمل ، ٧٣ ، الآية ١٠ .

(٦) سورة الأحقاف ، ٤٦ ، الآية ٣٥ .

(٧) سورة القلم ، ٦٨ ، الآية ٤٨ .

(٨) سورة النحل ، ١٦ ، الآية ١٢٧ .

(٩) سورة هود ، ١١ ، الآية ١١٥ ، وفي الآية ١١٦ خطأ .

فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه ، حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه .

[ صعوبة هذه الشروط ]

وليُعلم أنّ اشتراط هذه<sup>(٢)</sup> الخصال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يوجب الصعوبة<sup>(٣)</sup> على كثير من النفوس ، فيظنّ أنه بذلك يسقط عنه فيدَعُهُ ، وذلك مما يضرّه أكثر مما يضرّه الأمر بدون هذه الخصال ، أو أقلّ . فإن ترك الأمر الواجب معصية ، وفعل ما نهى الله عنه في الأمر معصية . فالمنتقل من معصية الى معصية كالمستجير من الرمضاء بالنار ، أو كالمنتقل من دين باطل الى دين باطل قد يكون الثاني شرّاً من الأوّل ، وقد يكون دونه ، وقد يكونان سواء . فهكذا تجب المقصّر في الأمر والنهي ، والمعتدي فيه قد يكون ذنب هذا أعظم ، وقد يكون ذنب ذلك أعظم ، وقد يكونان سواء .

[ المعاصي سبب المصائب ، والطاعة سبب النعمة ]

ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق ، وفي أنفسنا ، وبما شهد به في كتابه - أنّ المعاصي سبب المصائب . فسيئات المصائب والجزاء : هي<sup>(٤)</sup> من سيئات الأعمال . وأنّ الطاعة سبب النعمة . فإحسان العبد العمل سبب

(١) في اصول الفقه . انظر كشف الظنون ١٧٣٢/٢ .

(٢) ف : « وليعلم ان الأمر بهذه الخصال » .

(٣) ف : « صعوبته » .

(٤) ساقطة من ف .

لإحسان الله قال تعالى : ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير ) (١) ، وقال تعالى : ( ما أصابك من حسنة فمن الله ، ( ١٠ ب ) وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) (٢) ، وقال تعالى : ( إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّنا استزلّمهم الشيطانُ ببعض ما كسبوا ، ولقد عفا الله عنهم ) (٣) ، وقال تعالى : ( أو لمّا أصابتكم مصيبةٌ قد أصبّتُم مثلَها قلتم : أنتي هذا ؟ قلّ هو من عند أنفسكم ) (٤) ، وقال : ( أو يوبقهنّ بما كسبوا ، ويعف عن كثير ) (٥) ، وقال : ( وإن تُصِبنهم سيئةٌ بما قدّمت أيديهم فإنّ الانسانَ كفور ) (٦) ، وقال تعالى : ( وما كان الله ليُعذّبهم وأنت فيهم ، وما كان الله مُعذّبهم وهم يستغفرون ) (٧) .

[ ما عاقب الله به الامم السابقة لمصائبهم ]

وقد أخبر الله سبحانه بما عاقب به أهل السّيئات من الأمم ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدّين ، وقوم فرعون - في الدنيا . وأخبر بما سيُعاقبهم به في الآخرة . ولهذا قال مؤمن آل فرعون : ( يا قوم ، إنني أخاف عليكم مثلَ يوم الأحزاب ، مثلَ دابّ قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يُريدُ ظلماً للعباد . ويا قوم إنني أخاف عليكم يوم

(١) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء ، ٤ ، الآية ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١٥٥ .

(٤) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١٦٥ .

(٥) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ٣٤ .

(٦) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ٤٨ .

(٧) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٣٣ .

التناد ، يوم تولثون مُدبرين ما لكم من الله من عاصم . ومن يُضللِ اللهُ فما له من هاد (١) ، وقال تعالى : ( كذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) (٢) وقال : ( سنعدّ بهم مرتين ، ثم يُردّون الى عذاب عظيم ) (٣) . وقال : ( ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، لهمم يرجعون ) (٤) ، ( ١١ آ ) وقال : ( فارتقب يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مبين - الى قوله : يوم نبطشُ البطشة الكبرى ، إننا منتقمون ) (٥) .

[ عقوبة اهل السيئات في الدنيا والاخرة ]

ولهذا يذكر الله في عامة سُور الإنذار ما عاقب به أهل السيئات في الدنيا ، وما أعدّه لهم في الآخرة . وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط ، إذ عذاب الآخرة أعظم ، وثوابها أعظم ، وهي دارُ القرار . وإنما يذكر ما يذكره من الثواب والعقاب تبعاً ، كقوله في قصة يوسف : ( وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون ) (٦) ، وقال : ( فاتاهم اللهُ ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ) (٧) ، وقال : ( والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنُبؤأنهم في الدنيا حسنة ،

(١) سورة غافر ، ٤٠ ، الايات ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة انعم ، ٦٨ ، الاية ٣٣ .

(٣) سورة التوبة ، ٩ ، الاية ١٠١ .

(٤) سورة السجدة ، ٣٢ ، الاية ٢١ .

(٥) سورة الدخان ، ٤٤ ، الايات ١٠ - ١٦ .

(٦) سورة يوسف ، ١٢ ، الايات ٥٦ - ٥٧ .

(٧) سورة آل عمران ، ٣ ، الاية ١٤٨ .

وَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، لو كانوا يعملون. الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون<sup>(١)</sup>،  
وقال عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام : ( وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ  
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) <sup>(٢)</sup> .

وأما ذكره لعقوبة الدنيا والآخرة ففي سورة النازعات ، إذ قال :  
( وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا - ثم قال : يوم تَرَجَّفَ الراجفةُ  
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ) ، فذكر القيامة مُطلقاً : ثم قال : ( هل أتاك حديثُ  
موسى ، إذ ناداه ربه بالوادي المقدسِ طوى . اذهبْ ( ١١ ب ) إلى فرعون  
إنه طغى - الى قوله : إنَّ في ذلك لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى ) ، ثم ذكر المبدأ والمعاد  
مُفَصَّلًا فقال : ( أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا - الى قوله : فإذا جاءت  
الطامة الكبرى ، يوم يتذكرُ الانسانُ ما سعى ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ،  
فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ) <sup>(٣)</sup> . الى  
آخر السورة .

وكذلك في سورة المزمل ذكر قوله : ( وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ  
وَمَهْلِكُهُمْ قَلِيلًا ، إِنَّ لَدِينَا أُنْكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ، -  
الى قوله : كما أرسلنا الى فرعون رسولاً ، فعصى فرعونُ الرسولَ ، فأخذناه  
أخذاً وبيلًا ) <sup>(٤)</sup> .

وكذلك في سورة الحاقة ذكر قصص الأمم كشمود ، وعاد ، وفرعون ،

---

(١) سورة النحل ، ١٦ ، الايات ٤١-٤٢ .

(٢) سورة النحل ، ١٦ ، الاية ١٢٢ .

(٣) سورة النازعات ، ٧٩ ، الايات ١-٤١ .

(٤) سورة المزمل ، ٧٣ ، الايات ١١ - ١٦ .

ثم قال تعالى : ( فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ) (١) الى تمام ما ذكره من أمر الجنة والنار .

وكذلك في سورة « ن والقلم » ذكر قصة أهل البستان الذين منعوا حقّ أموالهم وما عاقبهم به . ثم قال : ( كذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) (٢) .

وكذلك في سورة التغابن قال : ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، فذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَقَالُوا : أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ؟ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ، وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ) ، ثم قال تعالى : ( زعم الذين الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل : بلى ، وربّي (آ ١٢) لتبعثنّ ) ، ثم لتنبؤن بما علمتم ، وذلك على الله يسير ) (٣) .

وكذلك في سورة « ق » (٤) ذكر حال المخالفين للرسول ، وذكر الوعد والوعيد في الآخرة ، وكذلك في سورة « القمر » (٥) ذكر هذا وهذا ، وكذلك في سورة « حم » مثل « حم غافر » (٦) و « السجدة » (٧) ، و « الزخرف » (٨)

(١) سورة الحاقة ، ٦٩ ، الايات ١٢ - ٣٧ .

(٢) سورة القلم ، ٦٨ ، الاية ٣٣ .

(٣) سورة التغابن ، ٦٤ ، الايات ٥ - ٧ .

(٤) السورة الخمسون . انظر الايات ١٢ - ٣٠ .

(٥) السورة الرابعة والخمسون . انظر الايات ٩ - ٥٥ .

(٦) السورة الأربعون .

(٧) السورة الثانية والثلاثون .

(٨) السورة الثالثة والأربعون .

و « الدخان » (١) ، وغير ذلك مما لا يحصى .

[ اول ما نزل من القرآن الوعد والوعيد ]

فإن التوحيد والوعد والوعيد من أول ما أنزل ، كما في صحيح البخاري (٢) عن يوسف بن ماهك (٣) قال : « إنني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، اذ جاءها عراقي ، فقال : أي الكفن خير ؟ قالت : ويحك ، وما يضرُّك ؟ قال يا أم المؤمنين ، أريني مصحفك . قالت : لم ؟ قال : لعليّ أوّل القرآن عليه ، فإنه يقرأ غير مؤلف . قالت : وما يضرُّك أيّه قرأت قبّل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من الفصل فيها ذكر الجنة والنار . حتى إذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً . ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإنني لجارية العبد : ( بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ) (٤) ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده . قال : فأخرجت له المصحف ، فأملت عليه آي السورة . ( ١٢ ب )

[ اختلاف الناس في الامر والنهي سبب التفرق والاختلاف ]

وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان ، فقد يذنب

(١) السورة الرابعة والأربعون .

(٢) أنظر صحيح البخاري ١٥٢/٦ باب تأليف القرآن (طبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة).

(٣) يوسف بن ماهك ( بفتح الهاء ) الفارسي . تابعي ثقة عدل ( انظر تهذيب التهذيب ٤٢١/١١ ) .

(٤) هذه الآية من سورة القمر ، ٥٤ ، رقم ٤٦ .

الرجلُ والطائفة ، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي ، فيكون ذلك من ذنوبهم ، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهيّاً عنه ، فيكون ذلك من ذنوبهم . فيحصل التفرّق والاختلاف والشرّ . وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً ، إذ الانسانُ ظلوم جهول . والظلم والجهل أنواع ، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع ، وظلم كلّ من الثاني والثالث وجهلها من نوع آخر وآخر .

ومن تدبّر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك . ورأى أنّ ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ، ومن تبعهم من العامة في الفتن - هذا أصلها . ويدخل في ذلك أسباب الضلال والغيّ : الأهواء الدينية والشهوانية ، والبِدَع في الدين ، والفجور في الدنيا . وذلك أن أسباب الضلال والغيّ التي هي البِدَع في الدين والفجور في الدنيا ، مشتركة تعمّ بني آدم ، لما فيهم من الظلم والجهل . فيُذنب بعض الناس بظلم نفسه وغيره ، بفعل الزنا أو التلوّط أو غيره ، أو بشرب الخمر ، أو ظلم في المال بخيانة أو سرقة أو غصب ، ونحو ذلك .

[ المعاصي مشتبهة في الطباع ]

ومعلوم أنّ هذه المعاصي ، وإن كانت مستقبحة مذمومة في العقل والدين ، فهي مُشتبهة في الطباع . ومن شأن النفوس أنها لا تحبّ اختصاص غيرها بشيءٍ وزيادته عليها ، لكن تريد أن يحصل لها ما حصل له ، وهذا هو الغبطة التي هي ( آ ١٣ ) أدنى نوعي الحسد . فهي تريد الاستعلاء على الغير ، والاستئثار دونه ، أو تحسده وتمنّى زوال النعمة عنه ، وإن لم يحصل . ففيها من إرادة العلوّ والفساد والاستكبار والحسد ما يتقاضاها أن تختصّ عن غيرها بالشهوات ، فكيف إذا رأت الغير قد استأثر عليها بذلك ، واختصّ به دونها ؟ فالمعتدل منهم في ذلك : الذي يجب الاشتراك والتساوي ، وأمّا الآخر فظلومٌ حسود .

وهاذان يقعان في الأمور المباحة ، والأمر المحرمة لحق الله . فما كان جنسه مُباحاً ، من أكل وشرب ، ونكاح ، ولباس ، وركوب ، وأموال ، إذا وقع فيها الاختصاص حصل بسببه الظلم والبخل والحسد .

[ الشح سبب الغرور ]

وأصلها الشُّحُّ ، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إيتاكم والشحُّ ، فإنه أهلك من كان قبلكم . أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » (١) ولهذا قال الله تعالى في وصف الأنصار : (والذين تبوءوا الدارَ والايمنَ من قبلكم - أي من قبل المهاجرين - يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أي لا يجدون الحسد بما أوتي إخوانهم من المهاجرين - ويُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ثم قال : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) (٢) .

وسمع عبد الرحمن بن عوف ، وهو يطوفُ بالبيت يقول : « ربِّ ، قني شحِّ نفسي . ربِّ ، قني شحِّ نفسي » . فقيل له في ذلك ، فقال : « إذا وقيت شحِّ نفسي ( ١٣ ب ) فقد وقيت البخلَ والظلمَ والقطيعة » ، أو كما قال .

فهذا الشُّحُّ - الذي هو شدة حرص النفس - يوجب البخل بمنع ما عليه ، والظلم بأخذ مال الغير ، ويوجب قطيعة الرحم ، ويوجب الحسد ، - وهو كراهة ما اختص به الغير وتمنّي زواله . والحسدُ فيه بخل وظلم ، فإنه بخل

(١) أخرجه الدارمي ، زكاة ، ٤٦٠ - وانظر مسند أحمد ١٦٠/٢ .

(٢) سورة الحشر ، ٥٩ ، الآية ٩ .

بما أعطيه عن غيره ، وظلم بطلب زوال ذلك عنه .

فإذا كان هذا في جنس الشهوات المباحة ، فكيف بالمحرمة ؟ كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك . وإذا وقع فيها إختصاص فإنه يصير فيها نوعان : أحدهما بُغضُها لما في ذلك من الاختصاص والظلم ، كما يقع في الأمور المباحة الجنس ، والثاني بُغضُها لما في ذلك من حق الله .

[ انواع الذنوب ]

ولهذا كانت الذنوب ثلاثة أقسام :

أحدها : ما فيه ظلم للناس ، كالظلم بأخذ الأموال ، ومنع الحقوق ، والحسد ، ونحو ذلك .

والثاني : ما فيه ظلم للنفس فقط ، كشرب الخمر والزنا ، إذا لم يتعد ضررها .

والثالث : ما يجتمع فيه الأمران ، مثل أن يأخذ الحاكم والامير (١) أموال الناس ليزني بها ويشرب الخمر ويرتكب الفواحش (٢) . ومثل أن يزني بمن يرفعه على الناس بذلك السبب ويضرمهم ، كما يقع من يجب النساء والصبيان ، وقد قال الله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ

(١) ف « ان يأخذ المتولى .. »

(٢) قوله « ويرتكب الفواحش » ساقط من ف .

تقولوا على الله ( آ ١٤ ) ما لا تعلمون ( ١ ) .

[ استقامة أمور الناس بالعدل ]

وأمر الناس إنَّما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ، وإنَّ لم تشترك في إثم . ولهذا قيل : إنَّ الله يُقيم الدولة العادلة وإنَّ كانت كافرة ، ولا يُقيمُ الظالمة وإنَّ كانت مسلمة .

ويُقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والاسلام .

وقد قال النبي ﷺ : « ليس ذنبٌ أسرعُ عقوبةً من البغي وقطيعة الرحم » ( ٢ ) . فالباغي يُصرَعُ في الدنيا ، وإنَّ كان مغفوراً له مرحوماً .

وذلك أن العدل نظام كلِّ شيء . فإذا أقيم أمرُ الدنيا بالعدل قامت ، وإنَّ لم يكن لصاحبها من خلاق ، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم ، وإنَّ كان لصاحبها من الايمان ما يُجزى به في الآخرة .

[ طبيعة النفس : العلو والحسد والظلم ]

والنفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه ، والحسد له ، والتعدّي عليه في حقّه ، وفيها داعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة ، كالزنا وأكل الحبائث . فهي قد تظلمُ من لا يظلمها ، وتؤثر هذه الشهوات وإنَّ لم يفعلها

( ١ ) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية ٣٣ .

( ٢ ) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب البغي : ولفظه : « وأسرع الشرِّ عقوبةً البغي

وقطيعة الرحم » ١٤٠٨/٢ .

غيرها . فإذا رأتُ نظراءها قد ظلموا أو تناولوا هذه الشهوات صار داعي هذه الشهوات أو الظلم فيها أعظم بكثير .

وقد يصير ويهيج ذلك لها من بغض ذلك الغير وحسده وطلب عقابه ، وزوال الخير عنه ، ما لم يكن فيها قبل ذلك . ولها حجة عند نفسها من جهة العقل والدين بكون ذلك الغير قد ظلم نفسه والمسلمين ، ( ١٤ ب ) وأن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والجهاد على ذلك من الدين .

[انواع الناس في ذلك]

والناس هنا ثلاثة أقسام : قوم لا يقومون إلا في أهواء نفوسهم ، فلا يرضون إلا بما يُعْطَوْنَه ، ولا يَغْضَبُون إلا لما يُجْرِمُونَه . فإذا أُعْطِيَ أحدهم ما يشتهي من الشهوات الحلال والحرام : زال غضبه ، وحصل رضاه . وصار الأمر الذي كان عنده منكراً ، يَنْهَى عنه وَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ ، ويذمُّ صاحبه ويغضب عليه ، صار فاعلاً له ، شريكاً فيه ، ومُعَاوِناً عَلَيْهِ ، ومُعَايِداً لمن ينهى عنه ويُنْكَرُ عَلَيْهِ . وهذا غالب في بني آدم . ترى الانسان يسمع من ذلك ما لا يحصيه إلا الله . وسببه أن الانسان ظلوم جهول . فلذلك لا لا يعدل . بل ربما كان ظالماً في الحالين . يرى قوماً يُنْكَرُونَ على الحاكِم والامير ظلمه لرعيته واعتداه عليهم . فيَرْضِي اولئك المنكرين ببعض الشيء من منصب أو مال ، فينقلبون أعواناً له . وأحسن أحوالهم أن يسكتوا عن الإنكار عليه .

وكذلك ترام على مَنْ يَشْرَبُ الخمر ويَزْنِي ، وَيَسْمَعُ المَلاهي ، حتى يُدْخِلُوا أحدهم معهم في ذلك ، أو يُرْضَوْهُ ببعض ذلك ، فتراه حينئذ قد صار عوناً

لهم . وهؤلاء قد يعودون بإنكارهم الى أقبح من الحال التي كانوا عليها ، وقد يعودون الى ما هو دون ذلك أو نظيره .

وقوم يقومون قومة ديانة صحيحة ، يكونون في ذلك مخلصين لله ، مُصلحين فيما عملوه ، ويستقيم لهم ذلك ، حتى يصبروا على ما أودوا . فهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهم من خير أمةٍ أُخرجت للناس : يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ( ١٥ آ ) .

وقوم يجتمع فيهم هذا وهذا ، وهم من غالب المؤمنين .

فَمَنْ فِيهِ دِينٌ وله شهوة يجتمع في قلبه ارادةُ الطاعة وإرادةُ المعصية . وربما غلب هذا تارة وهذا تارة .

وهذه القسمة الثلاثية كما قيل : الأنفس ثلاثٌ : أمارَةٌ ، ولوامةٌ ، ومطمئنةٌ .

فالأولون هم أهلُ النفس الأمارَةِ التي تأمر بالسوء .

والوسط هم أهلُ النفس المطمئنة التي يُقال لها ( يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمَطْمِئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً . فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي ) (١) .

وهؤلاء هم أهلُ النفس اللوامة ، التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه ، وتتلون تارةً كذا وتارةً كذا ، وتخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً . وهؤلاء يُرجى (٢) أن

(١) سورة الفجر ، ٨٩ ، الايات ٢٧ - ٣٠ .

(٢) قوله « وهؤلاء الى آخر الآية » ساقط من ف .

يتوب الله عليهم اذا اعترفوا بذنوبهم ، كما قال الله تعالى ( وآخرون اعترفوا  
بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم إن الله  
غفورٌ رحيمٌ ) (١) .

ولهذا لما كان الناس في زمن أبي بكر وعمر ، رضي الله عنها ، وهما  
الذان أمر المسلمون بالاعتداء بها ، كما قال النبي ﷺ : « اقتدوا بالذنين من  
بعدي : أبي بكر وعمر » (٢) ، لما كان الناس أقرب عهداً بالرسالة ، وأعظم  
إيماناً وصلاحاً ، وأتمتْهم أقوم بالواجب ، وأثبت في الطمأنينة ، لم تقع فتنة .  
اذ كانوا في حكم القسم الوسط .

ولما كان في آخر خلافة عثمان ، وفي خلافة علي ، رضي الله عنها ، كثر  
القسم الثالث . فصار فيهم شهوة (٣) ، مع الايمان والدين . قد صار ذلك في  
بعض الولاة وبعض الرعايا . ثم كثر ذلك بعد ، فنشأت الفتنة التي سببها ما  
تقدم ، من عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين ، واختلاطها بنوع من  
الهوى والعصبية (٤) في الطرفين . وكل منها متأول أنه يأمر بالمعروف  
وينهى عن المنكر ، وأنه مع الحق والعدل . ومع هذا التأويل نوع من الهوى .  
ففيه نوع من الظن وما تهوى الأنفوس ، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى  
بالحق من الأخرى .

فلهذا يجب على المؤمن أن يستعين بالله ، ويتوكل عليه في أن يعمر قلبه

---

(١) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ١٠٢ .

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٢٧٠/٩ ؛ وابن ماجه في المقدمة ، واحد في المسند ٣٨٢/٥ .

(٣) ف « شهوة وشبهة »

(٤) ف « من الهوى والمصيبة » .

بالإيمان والتقوى ، ولا يُزيفه ، ويُثبته على الهدى ، ولا يتبع الهوى ، كما قال تعالى ( فلذلك فادعُ ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم . وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم ) (١) .

[ اختلاف الأمة في المقالات والعبادات وواجبها ]

وهذا أيضاً حال الأمة فيما تفرقت فيه ، واختلفت في المقالات والعبادات . وهذه الأمور مما تعظم بها المحنة على المؤمنين ، فإنهم محتاجون إلى شيتين . إلى دفع الفتنة التي ابتلي بها نظراؤهم ، من فتنة الدنيا والدين ، عن نفوسهم ، مع قيام مقتضى لها . فإن معهم نفوساً وشیاطين ، كما مع غيرهم . فمع وجود ذلك من نظائرهم يقوى مقتضى عندهم ، كما هو الواقع . فيبقى الداعي الذي في نفس الشيطان وشیطانه ( ١٦٦ آ ) . ودواعي الخير كذلك ، وما يحصل من الداعي بفعل الغير والنظير .

فكم من الناس من لم يُرد خيراً ولا شراً ، حتى رأى غيره - لا سيما إن كان نظيره - يفعله ، ففعله . فإن الناس كأسراب القَطَا ، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض .

ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له من الأجر والوزر مثل من تبعه ، كما قال النبي ﷺ : مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى

(١) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ١٥ .

يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سن سنة سيئة فعلية وزرّها ووزرُ من عمل بها الى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ،<sup>(١)</sup> ، وذلك لاشتراكهم في الحقيقة ، وأن حكم الشيء حكم نظيره ، وشبه الشيء منجذب إليه .

فإذا كان هاذان داعيين قويتين ، فكيف اذا انضم اليهما داعيان آخران ؟ .

وذلك أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه ، ويُبغضون من لا يوافقهم . وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة ، من موالاة كل قوم لموافقيهم ومعاداتهم لمخالفهم . وكذلك في أمور الدنيا والشهوات كثيراً ما يختار أهلها ويُؤثرون من يُشاركهم في أمورهم وشهواتهم . إما للمعاونة على ذلك ، كما في المتغلبين من أهل الرياضات وقطّاع الطريق ونحو ذلك ، وإما لتلذّذهم بالموافقة ، كما في المجتمعين على شرب خمر - مثلاً ، فإنّهم يحبون أن يشرب كل من حضر عندهم ، وإما لكراهتهم امتيازهم عنهم بالخير (١٦ب) إما حسداً له على ذلك ، أو لئلا يعلمو عليهم بذلك ويحمده الناس دونهم ، أو لئلا يكون له عليهم حجة ، أو لخوفهم من معاقبته لهم بنفسه أو بمن يرفع ذلك اليهم ، أو لئلا يكونوا تحت منته وخطره ، ونحو ذلك من الأسباب . قال الله تعالى : ( ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم ، من

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ، ولفظه : من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً . ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده . . . ٧٠٥/٢ وانظر أيضاً صحيح مسلم ٢٠٥٩/٤ .

بعد إيمانكم كفتاراً، حَسَدًا من عند أنفسهم ، من بعدما تبين لهم الحق (١)،  
وقال تعالى في المنافقين : ( وَدَّوَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ، فتكونون  
سواءً ) (٢) . وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : « وَدَّت الزانية لوزني  
النساء كلَّهن » .

والمشاركةُ قد يختارونها في نفس الفجور ، كالأشراك في شرب الخمر ،  
والكذب ، والاعتقاد الفاسد . وقد يختارونها في النوع الثاني كالزاني الذي يودُّ  
أن يزني غيره ، والسارق الذي يودُّ أن يسرق غيره أيضاً ، لكن في غير العيَّن  
التي زنى بها والتي سرقها .

وأما الداعي الثاني فقد يأمرون الشخص بمشاركتهم فيما هم عليه من  
المُنكر ، فإن شاركهم وإلاَّ عادوه وآذوه على وجهٍ قد ينتهي الى  
حدِّ الإكراه .

ثم إنَّ هاؤلاء الذين يختارون مشاركة الغير لهم في قبيح فعلهم ، أو  
بأمرونه بذلك ويستعينون به على ما يريدونه ، فإنهم متى شاركهم وعاونهم  
وأطاعهم انتقصوه واستخفوا به ، وجعلوا ذلك حجةً عليه في أمور أخرى .  
( ١٧ آ ) وإن لم يُشاركهم عادوه وآذوه . وهذه حال غالب الظالمين  
القادرين .

وهذا الموجودُ في المنكر ، موجودٌ نظيره في المعروف ، وأبلغ منه ، كما

---

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٠٩ .

(٢) سورة النساء ، ٤ ، الآية ٨٩ .

قال الله تعالى : ( والذين آمنوا أشدَّ حُبًّا لله ) (١) ، فإنَّ الإنسان فيه داعٍ يدعوهُ الى الإيمان والعلم ، والصدق والعدل ، وأداء الأمانة . فإذا وُجد مَنْ يعمل ذلك مثله صار له داعٍ آخر ، لا سيَّما إذا كان نظيره ، لا سيَّما مع المنافسة . وهذا محمودٌ حَسَنٌ .

فإنَّ وُجْدَ مَنْ يُحِبُّ موافقته على ذلك ومشاركته له من المؤمنين والصالحين ، وَمَنْ يُبْغِضُهُ إذا لم يفعل ذلك : صار له داعٍ ثالث .

فإذا أمروه بذلك ووالوه على ذلك ، وعادوه وعاقبوه على تركه ، صار له داعٍ رابع .

[ يجب مقابلة السيئات بالحسنات ]

ولهذا يؤمر المؤمنون أن يُقابِلوا السيئات بصدِّها من الحسنات ، كما يُقابِل الطيب المرض بصدِّه . فيؤمرُ المؤمن بأن يُصلح نفسه ، وذلك بشيئين : بفعل الحسنات ، وترك السيئات . مع وجود ما ينفي الحسنات ويقتضي السيئات . وهذه أربعة أنواع .

ويؤمرُ أيضاً بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه . قال تعالى : ( والعصر . إنَّ الإنسان لفي خُسْرٍ ، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبر ) (٢) . ورؤي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : « لو فكَّرَ الناسُ كلَّهم في سورة العصر لكفَّتْهم » . وهو كما

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٦٦ .

(٢) سورة العصر ، ١٠٣ ، الآيات ١ - ٣ .

قال . فإنّ الله تعالى أخبر فيها أنّ جميع الناس خاسرون ، إلاّ من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق ، موصياً بالصبر .

[ عظم الهمة سبب لعلو الدرجة ]

وإذا عظمت الهمة كان ذلك للمؤمن الصالح سبباً لعلو الدرجة وعظيم الثواب (١) . كما سئل النبي ﷺ : « أيّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثلُ فالأمثل . يُبتلى الرجلُ على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابةٌ زيدَ في بلائه ، وإن كان في دينه رقةٌ خففت عنه . وما يزالُ البلاءُ بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة » (٢) .

وحيثنذ فيحتاج من الصبر ما لا يحتاج إليه غيره . وذلك هو سبب الإمامة في الدين . كما قال تعالى : ( وجعلناهم أئمةً يهتدون بأمرنا لهم صابروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون ) (٣) .

[ لا بد من الصبر على فعل الحسن ]

فلا بُدّ من الصبر على فعل الحسن المأمور به ، وعلى ترك المحظور المنهى عنه . ويدخل في ذلك الصبر على الأذى ، وعلى ما يُقال ، والصبر على ما يُصيبه من المكاره ، والصبر عن البطر عند النعم ، وغير ذلك من أنواع الصبر .

(١) ف « وعظم الاجر » .

(٢) انظر الدارمي ، كتاب الرقاق ، باب : اشد الناس بلاء ٣٢٠/٢ ؛ ومسنّد أحمد

١٧٢/١ .

(٣) سورة السجدة ، ٣٢ ، الآية ٢٤ .

[ ولا بد من اليقين ]

ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ويتنعم به ويتغذى به : وهو اليقين . كما في الحديث الذي رواه ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أيها الناس ، سلوا الله اليقين والعافية . فإنه لم يُعْطَ أحد بعد اليقين خيراً من العافية ، فسألوهما الله (١) » .

وكذلك إذا أمر ( ١٨ آ ) غيره بحسن ، أو أحب موافقته له على ذلك ، أو نهى غيره عن سيء فيحتاج أن يُحسن الى ذلك الغير إحساناً يحصل به مقصوده : من حصول المحبوب واندفاع المكروه . فإنّ النفوس لا تصبر على المرء إلاّ بنوعٍ من الحلو . لا يُمكن غير ذلك . ولهذا أمر الله بتأليف القلوب ، حتى جعل للمؤلّفة قلوبهم نصيباً في الصدقات . وقال تعالى لنبيّة ﷺ : ( خذ العفو ، وامرُ بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) (٢) . وقال تعالى : ( وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ) (٣) . فلا بُدّ أن يصبر ويرحم . وهذا هو الشجاعة والكرم .

ولهذا يقرنُ الله بين الصلاة والزكاة تارة ، وهي الإحسانُ الى الخلق ، وبينها وبين الصبر تارة .

ولا بُدّ من الثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والصبر . لا تقوم مصلحة المؤمنين

---

(١) رواه الترمذي ، ٢٠٦/٩ . ولفظه : « اسألوا الله العفو والعافية ، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية » .

(٢) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية ١٩٩ .

(٣) سورة البلد ، ٩٠ ، الآية ١٧ .

إلاّ بذلك في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم، لا سيّما كلّما قويت الفتنة والمحنة .  
فإنّ الحاجة الى ذلك تكون أشدّ .

فالحاجة الى السّماحة والصبر عامّة لجميع بني آدم ، لا تقوم مصلحة دينهم  
ولا دنياهم إلاّ بهما . ولهذا فإن جميعهم يتأدحون بالشجاعة والكرم ، حتى إنّ  
ذاك عامّة ما يمدح به الشعراء ومدوحهم في شعرهم ، وكذلك يتذامّون  
بالبخل والجبين .

والقضايا التي يتفق عليها عقلاء بني آدم لا تكون إلاّ حقّاً ، كاتفاقهم على  
مدح الصدق والعدل ، وذمّ الكذب والظلم . وقال النبيّ ﷺ ( ١٨ ب ) لما  
سأله الأعرابُ حتى اضطروه الى سمرة<sup>(١)</sup> ، فتعلّقت بردائه - فالتفت إليهم  
وقال : « والذي نفسي بيده ، لو أنّ عندي عدد هذه العِضاه نَعَمًا لقسمته  
فيكم ، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا ، ولا كذوبًا » . لكنّ ينوع ذلك بتنوع  
المقاصد والصفات ، فإنّما الأعمال بالنيّات ، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى .

[ ذم البخل والجبين ]

ولهذا جاء الكتاب والسنة بدم البخل والجبين ، ومدح الشجاعة والسماحة  
في سبيل الله ، دون ما ليس في سبيله . فقال النبيّ ﷺ : « شرُّ ما في المرء  
شُحُّ هالع ، وجُبْنُ خالع »<sup>(٢)</sup> . وقال : « مَنْ سَيِّدَمَ يا بني سلمة ؟ فقالوا: الجَدُّ  
بن قَيْس ، على أنّا نَزَرْنُهُ بالبخل . فقال : وأيّ داءٍ أدوى من البخل ؟ »<sup>(٣)</sup> .

(١) نوع من شجر البادية .

(٢) رواه أحمد ٣٠٢/٢ - وأبو داود ، في الجهاد ، باب في الجرأة والجبين ،

(٣) رواه البخاري في الخمس ، ١٥ ، وفي المغازي ٧٣ .

وفي رواية : إن السيد لا يكونُ بخيلاً ، بل سيدكم الأبيض الجعد البراء بن معرور « (١) .

وكذلك في « الصحيح » قولُ جابر بن عبد الله لأبي بكر الصديق ، رضي الله عنهم : « إِمَّا أَنْ تَعْطِينِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي . فَقَالَ : تَقُولُ وَإِمَّا أَنْ تَبْخَلَ عَنِّي ؟ وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبَخْلِ ؟ » . فجعل البخلَ من أعظم الأمراض .

وفي « صحيح مسلم » عن سليمان بن ربيعة قال : قال عمر رضي الله عنه : « قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَتَغَيَّرَ هَؤُلَاءِ أَحْقُ مِنْهُمْ . فَقَالَ : إِنَّهُمْ خَيْرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ وَبَيْنَ أَنْ يُبْخَلُونِي ، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ » (٢) . يقول : إنهم سألوني مسألةً لا تصلح ، فإن أعطيتهم وإلا قالوا : هو بخيل ( ١٩ آ ) . فقد خيروني بين أمرين مكروهين لا يتركوني من أحدهما : المسألة الفاحشة ، والتبخيل . والتبخيلُ أشدُّ ، فأدفعُ الأشدَّ بإعطائهم .

[ أنواع البخل ]

والبُخْلُ جنس تحته أنواع ، كبائر وغير كبائر .

قال الله تعالى : ( ولا يحسنّ الذين يبخلون بما آتاهمُ الله من فضله هو

(١) انظر سيرة ابن هشام ١٠٤/٢ ، وتفسير القرطبي ١٥٩/٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب من سأله بفحش وغلظة ، وفيه « ... إنهم خيروني أن

يسألوني بالفحش أو يبخلوني ، فليست نبأخل » الحديث ١٢٧ ، ٧٣٠/٢ .

خيراً لهم ، بل هو شرٌّ لهم . سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) ، وقال :  
 ( واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً - الى قوله - إنَّ  
 الله لا يحبُّ منْ كان مُخْتَلِئاً فخوراً ، الذين يبخلون ويأمرون الناسَ بالبخل ) (٢)  
 وقال تعالى : ( وما منعهم أن تقبلَ منهم نفقاتهم إلاَّ أنهم كفروا بالله  
 وبرسوله ، ولا يأتون الصلاةَ إلاَّ وهم كسالى ، ولا يُنفِقون إلاَّ وهم  
 كارهون ) (٣) ، وقال : ( فلما آتاهم من فضلهِ بخلوا به ، وتولّوا وهم مُعْرِضُونَ .  
 فَأَعْقَبَهُمْ نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقىونه ) (٤) ، وقال : ( ومن يبخلْ  
 فإنما يبخلُ عن نفسه ) (٥) ، وقال : ( فويلٌ للمصلّين ، الذين هم عن صلاتهم  
 ساهون ، الذين يراؤن ويمنعون الماعون ) (٦) ، وقال : ( والذين يكنزون الذهبَ  
 والفضةَ ، ولا يُنفقونها في سبيلِ الله فبشّرهم بعبابٍ أليمٍ . يومَ يُحْمَى عليها  
 في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبُهُم وظهورُهُم ، هذا ما كنزتم  
 لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون ) (٧) . وكثيرٌ من الآي في القرآن من الأمر  
 بالإيتاء والإعطاء ، وذمٌّ من ترك ذلك ، كلّه ذم للبخل ( ١٩ ب ) .

[ ذم الجبن ]

وكذلك ذمّه للجبن كثير ، في مثل قوله : ( ومن يؤلّتهم يومئذٍ دُبُرَهُ

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١٨٠ .

(٢) سورة النساء ، ٤ ، الايات ٣٦ ، ٣٧ ، وفي « ف » خطأ في رقم السورة والاية .

(٣) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ٥٤ .

(٤) سورة التوبة ، ٩ ، الايات ٧٦ ، ٧٧ .

(٥) سورة محمد ، ٤٧ ، الآية ٣٨ .

(٦) سورة الماعون ، ١٠٧ ، الآية ٤ . والماعون : المعروف .

(٧) سورة التوبة ، ٩ ، الايات ٣٤ ، ٣٥ .

إلا متحرّفاً لقتال ، أو متحيزاً الى فئة ، فقد باءَ بغَضَبِ من الله ، وماواه  
 جهنّمُ وبئس المصير )<sup>(١)</sup> ، وقوله عن المنافقين : ( ويحلفون بالله إنهم لمنكم ،  
 وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرّقون . لو يجدون ملجأً أو مَفَارَاتٍ أو  
 مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ ، وهم يَحْمَحُونَ )<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ( فإذا أنزِلت سورةٌ  
 مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ  
 نَظَرَ الْمُغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ )<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ( ألم ترّ الى الذين قيل لهم  
 كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . فلما كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا  
 فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً . وقالوا : ربّنا  
 لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ ؟ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ . قُلْ : متاعُ الدُّنْيَا  
 قَلِيلٌ ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ، وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا )<sup>(٤)</sup> .

وما في القرآن من الحضّ على الجهاد والترغيب فيه ، وذمّ الناكلين عنه  
 والتاركين له ، كلّ ذم للجبن .

[ لا يتم صلاح بني آدم إلا بالشجاعة والكرم ]

ولمّا كان صلاحُ بني آدم لا يتمُّ ، في دينهم ودنياهم ، إلاّ بالشجاعة والكرم ،  
 بين الله سبحانه أنّه مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ ، بِتَرْكِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ ، أَيْدِلَ اللَّهُ بِهِ  
 مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ . وَمَنْ تَوَلَّى عَنْهُ ، بِإِنْفَاقِ مَالِهِ ، أَيْدِلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ .

(١) سورة الأنفال ، ٨٠ ، الآية ١٦ .

(٢) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) سورة محمد ، ٤٧ ، الآية ٢٠ .

(٤) سورة النساء ، ٤ ، الآية ٧٧ .

فقال : ( يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ ( ٢٠ ) أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَيَسْتَبَدِّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (١) ، وقال تعالى : ( ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ، وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ . وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ) (٢) .

وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فَضَّلَ اللَّهُ السَّابِقِينَ ، فقال : ( لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ) (٣) .

وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله ، ومدحه في غير آية من كتابه . وذلك هو الشجاعة والسباحة في طاعته سبحانه ، فقال : ( كم من فئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ؟ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (٤) ، وقال تعالى : ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (٥) .

(١) سورة التوبة ، ٩٠ ، الآية ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة محمد ، ٤٧ ، الآية ٣٨ .

(٣) سورة الحديد ، ٥٧ ، الآية ١٠ .

(٤) سورة البقرة ، ٢٠٢ ، الآية ٢٤٩ .

(٥) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٤٥ ، ٤٦ .

[ ما هي الشجاعة ]

والشجاعة ليست هي قوّة البدن . فقد يكون الرجل قويّ البدن ضعيف القلب . وإنما هي قوّة القلب وثباته . فإنّ القتال مداره على قوّة البدن ، وصنعتُه للقتال ، وعلى قوّة القلب وخبرته به .

والحمودُ منها ما كان بعلمٍ ومعرفة ، دون التهور الذي لا يفكّر صاحبه ، ولا يميّز بين الحمود والمذموم ( ٢٠ ب ) . ولهذا كان القويّ الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح . فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد .

[ عودة الى الصبر وانواعه ]

وقد تقدّم أنّ جماع ذلك هو الصبر ، فإنّه لا بُدّ منه .

والصبر صبران : صبرٌ عند الغضب ، وصبر عند المصيبة . كما قال الحسن رحمه الله : « ما تجرّع عبدٌ جرعةً أعظم من جرعةٍ حَلِمَ عند الغضب ، وجرعةٍ صبر عند المصيبة » . وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم . والشجاعُ الشديد<sup>(١)</sup> هو الذي يصبر على المؤلم .

والمؤلم إن كان مما يُمكن دفعه أثارَ الغضب ، وإن كان مما لا يُمكن دفعه أثارَ الحزن . ولهذا يحمّرُ الوجهُ عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة ، ويصفّرُ عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز .

---

(١) ف : « وهذا هو الشجاع الشديد ... » ،

ولهذا جمع النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عبد الله ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : « ما تعدون الرقوبَ فيكم ؟ قالوا : الرقوب الذي لا يولد له . قال : ليس ذاك بالرقوب ، ولكن الرقوب الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً . ثم قال : ما تعدون الصرعةَ فيكم ؟ قلنا : الذي لا يصرعه الرجال . فقال . ليس بذلك ، ولكن الصرعة هو الذي يملك ( ٢١ آ ) نفسه عند الغضب ، (١) .

فذكر ما يتضمن الصبر عند المصيبة ، والصبر عند الغضب .

قال الله تعالى في المصيبة : ( وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : انّا لله وإنا إليه راجعون ) (٢) .

وقال تعالى في الغضب : ( وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم ) (٣) .

وهذا الجمع بين صبر المصيبة وصبر الغضب نظير الجمع بين صبر المصيبة وصبر النعمة ، كما في قوله تعالى : ( ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليكفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولنّ : ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور . إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ) (٤) ، وقال : ( لكن لا

(١) انظر صحيح مسلم ٤/٢٠١٤ ، الحديث ١٠٦ .

(٢) سورة البقرة ، ٢٠ ، الآية ١٥٥ و ١٥٦ .

(٣) سورة فصلت ، ٤١ ، الآية ٣٥ .

(٤) سورة هود ، ١١ ، الايات ٩ - ١١ .

تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (١) .

وهذا وصف كعب بن زهير من وصفه من الصحابة المهاجرين ، رضي الله عنهم ، حيث قال (٢) :

لا يفرحون إذا نالت سيوفهم (٣) قوماً ، وليسوا مجازيماً إذا نيلوا

وكذلك قال حسان بن ثابت في وصفه الأنصار رضي الله عنهم (٤) :

لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا هَلَجَ (٥)

وقال بعض العرب في صفة النبي ﷺ : « يَغْلَبُ فَلَائِيَطِرٌ ، وَيُغْلَبُ فَلَائِيَضْرَجٌ » .

[ النهي عند تعدي الحدود ]

ولما كان الشيطان يدعو الناس ، عند هذين النوعين ، الى تعدي الحدود بقلوبهم ، وأصواتهم ، وأيديهم ، نهى النبي ﷺ عن ذلك ، فقال لما قيل له ، وقد بكى لما رأى ابراهيم في السزج : « أتبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن صوتين أحق من فاجرين : صوت عند نعمة : هو

(١) سورة الحديد ، ٥٧ ، الآية ٢٣ .

(٢) البيت من قصيدة « بنت سعاد » . انظر شرح ديوان كعب ص ٢٥ .

(٣) في شرح ديوان كعب « رماحهم » .

(٤) انظر ديوان حسان ( تحقيق سيد حنفي حسنين ) ، ص ٢٣٩ .

(٥) هذه رواية الطبري ، وفي الديوان « .. فلا خور ولا جزع » .

ولعب ، ومزامير شيطان ، وصوتٌ عند مصيبة : لطمُ خدود ، وشقَّ جيوب ، ودُعاء بدعوى الجاهلية « (١) . فجمع بين الصوتين .

وأما نهيُه عن ذلك في المصائب ، فمثل قوله ﷺ : « ليس منّا مَنْ لطم الحدود ، وشقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » (٢) . وقال : « أنا بريُّ من الحالقة ، والصالقة ، والشاقة » (٣) ، وقال : « إنّ الله لا يؤأخذ على دمع العين ولا حزن القلب ، لكنْ يعذب بهذا أو يرحم . وأشار الى لسانه » (٤) ، وقال : « مَنْ نِيحَ عليه ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بما نِيحَ عليه » (٥) .

واشترط على النساء في البيعة « أن لا ينحن » . وقال : « إنّ النائحة إذا لم تتبُّ قبل موتها ، فإنّها تلبسُ يوم القيامةِ درعاً من جَرَبٍ ، وسرِّبالاً من قَطِران » (٦) .

فالنبيّ ﷺ ذكر الصوتين الأحمقين الفاجرين . الصوت الذي يوجب

---

(١) انظر البخاري في كتاب الجنائز .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : ليس منّا من ضرب الحدود ٧٣/٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : ما ينهى من الخلق عند المصيبة ، ٧٣/٢ ، ولفظه : إنّ رسول الله بريء من الصالقة والخالقة والشاقة ، والصلق : رفع الصوت الشديد ، يريد رفعه في المصائب ..

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : البكاء عند المريض ٧٤/٢ وفيه « .. ان الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ، - وأشار الى لسانه - أو يرحم » .

(٥) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : ما يكره من النياحة على الميت ٧٢/٢ .

(٦) رواه مسلم في كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، الحديث ، ٢٩ ، ٦٤٤/٢ .

الاعتداء في الفرح حتى يصير الانسان فرحاً فخوراً ، والصوت الذي يوجب  
الجزع عند الحزن ، حتى يصير الانسان هلوعاً جزوعاً .

وأما الصوت الذي يُثير الغضب لله ، ( ٢٢٢ ) فكالأصوات التي تُقال في  
الجهاد : من الأشعار المنشدة . فتلك لم تكن بالآلات . وكذلك اصوات الشهرة  
في الفرح ، فرخص منها فيما وردت به السنّة : من الضرب بالدّف في  
العرس ، والأفراح للنساء والصبيان .

وعامةُ الأشعار التي تنشد بالأصوات لتحريك النفوس هي من هذه الأقسام  
الأربعة . وهي التشبيب ، وأشعار الغضب والحميّة ، وهي الحماسة ، والهجاء ،  
وأشعار المصائب كالمراثي ، وأشعار النعم والفرح وهي المدائح .

والشعراء جرت عادتهم أن يشوا مع الطبع ، كما قال الله تعالى : ( أَلَمْ  
تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ؟ ) (١) ، ولهذا  
أخبر أنهم يتبعهم الغاوون . والقاوي هو الذي يتبع هواه بغير علم .  
وهذا هو الغي ، وهو خلاف المهدي . كما أن الضالّ هو الذي لا يعلم مصلحته  
وهو خلاف المهدي . قال سبحانه : ( والنجم إذا هوى ، ما ضلّ صاحبكم  
وما غوى ) (٢) فهذا قال رسول الله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء  
الراشدين المهديين من بعدي » (٣) .

(١) سورة الشعراء ، ٢٦ ، الآية ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) سورة النجم ، ٥٣ ، الآية ١ - ٢ .

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة ، ولفظه : « ... فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ ... » ١٦/١ ، الحديث ٤٣ .

فلهذا تجدهم يدحون جنس الشجاعة و جنس السباحة ، إذْ كان عدم هاذين مذموماً على الإطلاق . وأمّا وجودهما ففيه تحصيل مقاصد النفوس على الإطلاق ، لكن العاقبة في ذلك للمتقين ، وأمّا غير المتقين فلمهم عاقلة لا عاقبة .

والعاقبة ، وإنْ كانت في الآخرة ، فتكون في الدنيا أيضاً . كما قال تعالى لمّا ذكر قصّة نوح ( ٢٢ ب ) ونجاته بالسفينة : ( قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِمُهُمْ ، ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ - الى قوله : فاصبر ، إنّ العاقبة للمتقين ) (١) . وقال الله تعالى : ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أنّ الله مع المتقين ) (٢) .

[ الحمد من الحمية والشجاعة ]

والفرقان أن يحمّد من ذلك ما حمده الله ورسوله . فإن الله تعالى هو الذي حمده زين ، وذمه شين ، دون غيره من الشعراء والخطباء وغيرهم ، ولهذا لمّا قال القائل من بني تميم للنبي ﷺ : « إن حمدي زين ، وذمي شين » قال له : « ذاك الله » .

والله سبحانه حمد الشجاعة والسباحة في سبيله ، كما في « الصحيح » عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « قيل لرسول الله ﷺ : الرجلُ

(١) سورة هود ، ١١ ، الآية ٤٨ و ٤٩ .

(٢) سورة البقرة ، ٢ ، ١٩٤ .

يُقاتل شجاعةً ، ويُقاتل حميةً ، ويُقاتل رياءً ، فأبي ذلك في سبيل الله ؟  
 فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله ، (١) ، وقد  
 قال الله سبحانه : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله  
 لله ) (٢) ، لأن هذا هو المقصود الذي خلق الله الخلق له ، كما قال تعالى :  
 ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) (٣) .

فكل ما كان لأجل الغاية ( آ ٢٣ ) التي 'خلق لها الخلق' كان محموداً عند  
 الله ، وهو الذي يبقى لصاحبه وينفعه الله به ، وهذه هي الأعمال الصالحة .  
 ولهذا كان الناس أربعة أصناف :

مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ بِشَجَاعَةٍ وَسَمَاحَةٍ ، فَهُوَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَحَقُّونَ لِلْجَنَّةِ .  
 وَمَنْ يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِشَجَاعَةٍ وَسَمَاحَةٍ ، فَهَذَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ،  
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ .

وَمَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ ، لَكِن لَّا بِشَجَاعَةٍ وَلَا بِسَمَاحَةٍ . فَهَذَا فِيهِ مِنَ النَّفَاقِ وَنَقْصِ  
 الْإِيمَانِ بِقَدْرِ ذَلِكَ . وَمَنْ لَّا يَعْمَلُ لِلَّهِ ، وَلَا فِيهِ شَجَاعَةٌ وَلَا سَمَاحَةٌ ، فَهَذَا  
 لَيْسَ لَهُ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٌ .

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب النية في القتال ٩٣١/٢ ، الحديث ٢٧٨٣ -  
 ورواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله العليا ، ١٥١٣/٣ ، الحديث  
 . ١٥٠

(٢) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٣٩ .

(٣) سورة الذاريات ، ٥١ ، الآية ٥٦ .

[ الاخلاق التي يحتاج اليها المؤمن ]

فهذه الأخلاق والأعمال يحتاج اليها المؤمن عموماً ، وخصوصاً في أوقات المحن والفتن الشديدة . فإنّهم يحتاجون الى صلاح نفوسهم عند المقتضى للفتنة عندهم . ويحتاجون ايضاً الى أمر غيرهم ونهيه بحسب قدرتهم . وكل من هذين الأمرين فيه من الصعوبة ما فيه ، وإن كان يسيراً على من يسره الله عليه .

وهذا لأن الله أمر المؤمنين بالايان والعمل الصالح ، وأمرهم بدعوة الناس وجهادهم على الايمان والعمل الصالح ، ولكنهم كما قال الله تعالى : ( وَلَيَسْتَنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) (١) . وكما قال إنّنا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ( ٢٣ ب ) ، ويوم يقوم الأشهاد ) (٢) ، وكما قال : ( كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي . إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ) (٣) . وكما قال : ( وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ) (٤) .

[ التعلل بالخوف من الفتنة ، لترك الأمر بالمعروف .. ]

ولما كان في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله من

(١) سورة الحج ، ٢٢ ، الآية ٤٠ ٤١ .

(٢) سورة غافر ، ٤٠ ، الآية ٥١ .

(٣) سورة المجادلة ، ٥٨ ، الآية ٢١ .

(٤) سورة الصفات ، ٣٧ ، الآية ١٧٣ .

الابتلاء والحِمْن ما يتعرض به المرء للفتنة ، صار في الناس من يتعمَلَل لتترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة . كما قال الله تعالى عن المنافقين : ( ومنهم مَنْ يقولُ : ائذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي . أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ) (١) الآية .

وقد ذكروا في التفسير (٢) أنها نزلت في الجَدِّ بن قَيْسٍ لما أمره النبي ﷺ بالتجهز لغزو الروم . وَأُظِنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ : « هَلْ لَكَ فِي نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ رَجُلٌ لَا أَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ ، وَإِنْ أَخَافُ الْفِتْنَةَ بِنِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَأُذِنَ لِي ، وَلَا تَفْتِنِي » (٣) .

وهذا الجَدُّ هو الذي تخلف عن بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَاسْتَسْرَجَ يَجْمَلِ أَحْمَرَ (٤) . وجاء فيه الحديث : « كَلَّمْتُمْ مَغْفُورٌ لَهُ ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ » . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَنْ لِي ، وَلَا تَفْتِنِي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ) .

يقولُ : إنه طلب القعود ليسلم من فتنة النساء ، فلا يفتن بهنَّ ، فيحتاج إلى

---

(١) سورة التوبة ، ٩ ، الآية ٤٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٥٨/٨ .

(٣) الذي في سيرة ابن هشام ١٥٩/٤ : « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجَدِّ بن قيس ، أحد بني سلمة : يا جَدُّ ، هل لك في جِلاَدِ بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْ تَأْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنْ أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرُ . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : قَدْ أَذْنَتْ لَكَ . فَمِنِ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ .. الخ » .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٣٠/٣ .

الاحتراز من المحذور ومجاهدة نفسه عنه . فيتعذّب بذلك ، أو يواقعه فيأثم . فإنّ مَنْ رأى الصورة الجميلة وأحبّها ، فإنّ لم يتمكّن منها - إما لتحريم الشارع ، وإما للمعجز عنها - يُعذّب قلبه ، ( ٢٤٤ آ ) وإن قدر عليها وفعل المحذور هلك . وفي الحلال من ذلك من معالجة النساء ما فيه بلاء .

فهذا وجه قوله « ولا تفتنني » ، فقال الله تعالى : ( ألا في الفتنة سقطوا ) . يقول : إنّ نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ، ونكوله عنه ، وضعف إيمانه ، ومرض قلبه ، الذي زبّن له ترك الجهاد : فتنة عظيمة قد سقط فيها . فكيف يطلب التخلّص من فتنة صغيرة لم تُصيّبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته ؟ والله تعالى يقول : ( وقاتلوم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ) (١) . فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة ، فهو في الفتنة ساقط ، ربما وقع فيه من ريب قلبه ، ومرض فؤاده ، وترك ما أمره الله به من الجهاد .

فتدبّر هذا ، فإنه مقام خطر . والناس فيه على قسمين : (٢) .

قسم يأمرّون وينهون ويُقاتلون طلباً لإزالة الفتنة - زعموا - ، ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة ، كالمقاتلين في الفتن الواقعة بين الأمة مثل الخوارج .

وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله ،

---

(١) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٢١ .

(٢) ف « الناس فيه ثلاثة أقسام » .

وتكون كلمة الله هي العليا ، لئلا يُفْتَنُوا ، وهم قد سقطوا في الفتنة .

وهذه الفتنة المذكورة في سورة « براءة » دخل فيها الافتتان بالصور الجميلة ، فإنها سبب نزول الآية . وهذه حال كثير من المتدينّة ، يتركون ما يجب عليهم من أمرٍ ونهيٍ وجهادٍ ، يكونُ به الدينُ كلّه لله ، وتكون به كلمة الله هي العليا ، لئلا يفْتَنُوا يحنس الشهوات ، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنّهم فرّوا منها ( ٢٤ ب ) .

وإنما الواجب عليهم القيام بالواجب من الأمر والنهي وترك المحظور ، والقيام بالواجب وترك المحظور متلازمان <sup>(١)</sup> ، لكون نفوسهم لا تطاوعهم إلا على فعلها جميعاً أو تركها جميعاً ، مثل كثير ممن يحبّ الرياضة ، أو المال ، أو شهوات النفي ، فإذا فعل ما وجبّ عليه من أمرٍ ونهيٍ وجهادٍ وإمارة ونحو ذلك فلا بُدّ أن يفعل معها شيئاً من المحظورات ، فالواجبُ عليه حينئذ أن ينظر أغلب الأمرين . فإن كان المأمور أعظم أجراً من ترك ذلك المحظور ، لم يترك ذلك ، لما يخاف من أن يقترن به ما هو دونه في المفسدة . وإن كان ترك المحظور أعظم أجراً ، لم يفوت ذلك برجاء ثواب فعلٍ واجب يكون بما يجتمع له من الأمرين من الحسنات والسيئات . فهذا هذا . وتفصيل ذلك بطول .

[ لا بد لكل انسان من الأمر والنهي ]

وكلّ بشرٍ على وجه الأرض فلا بُدّ له من أمرٍ ونهي . ولا بُدّ أن يؤمر

(١) ف « متلازم » .

وَيُنْهَى ، حتى لو أنته وحده لكان يأمر نفسه وينهاها : إِمَّا بِمَعْرُوفٍ ، وَإِمَّا بِمُنْكَرٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (١) ) .

فَإِنَّ الْأَمْرَ هُوَ طَلْبُ الْفِعْلِ وَإِرَادَتُهُ . وَالنَّهْيُ طَلْبُ التَّرْكِ وَإِرَادَتُهُ .

[ بنو آدم لا يعيشون الا بالاجتماع ]

وَلَا بُدَّ لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ إِرَادَةِ وَطَلْبٍ فِي نَفْسِهِ يَقْتَضِي بِهَا فِعْلَ نَفْسِهِ ، وَيَقْتَضِي بِهَا فِعْلَ غَيْرِهِ إِذَا أَمَكْنَ ذَلِكَ . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ حَيٌّ يَتَحَرَّكُ بِإِرَادَتِهِ ، وَبَنُو آدَمَ لَا يَعِيشُونَ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ .

وَإِذَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ فَصَاعِدًا ( ٢٥٠ ) فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اثْتَارٌ بِأَمْرٍ ، وَتَنْسَاهِ عَنْ أَمْرٍ . وَلِهَذَا كَانَ أَقَلُّ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاةِ اثْنَانِ ، كَمَا قِيلَ : الْإِثْنَانُ فَمَا فَوْقَهَا جَمَاعَةٌ . وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ اشْتِرَاكًا فِي مَجْرَدِ الصَّلَاةِ حَصَلَ بَاثْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا إِمَامٌ وَالْآخَرُ مَأْمُومٌ . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ وَصَاحِبِهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « إِذَا حَضَرْتَ الصَّلَاةَ فَأَذِّنْ وَأَقِمْ ، وَلِئُومًا كَمَا أَكْبَرُ كَمَا » (٢) . وَكَانَا مَتَقَارِبَيْنِ فِي الْقِرَاءَةِ .

وَأَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ فَفِي السَّنَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَجِلُّ لثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ فِي سَفَرٍ إِلَّا أَمَرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدُهُمْ » (٣) .

(١) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ٥٣ .

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : من احق بالإمامة ، ٤٦٦/١ ، الحديث ٢٩٣ .

(٣) رواه ابو داود في كتاب الجهاد ولفظه : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » .

[ الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم ، فلا بد من الأمر  
بالمعروف الذي أمر به الله ورسوله ... ]

وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم ، فمن لم يأمر بالمعروف  
الذي أمر به الله ورسوله ، وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ،  
ويؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله ، وينهى عن المنكر الذي نهى  
الله عنه ورسوله - وإلا فلا بُد من أن يأمر وينهى ، ويؤمر وينهى إمّا بما  
يضاد ذلك ، وإمّا بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم يُنزل  
الله . وإذا اتخذ ذلك ديناً كان ديناً مُبتدعاً ضالاً باطلاً . وكما أن كل بشرٍ  
هو حي متحرك بإرادته ، همام حارث ، فمن لم تكن نيته وعمله عملاً  
صالحاً لوجه الله ، كان عمله عملاً فاسداً أو لغير وجه الله ، وهو الباطل . كما  
قال تعالى : ( إن سعيكم لشتى <sup>(١)</sup> ) .

وهذه الأعمال ( ٢٥ ب ) كلها باطلة من جنس أعمال الكفار ( الذين  
كفروا وصدوا عن سبيل الله ، أضلّ أعمالهم ) <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( والذين  
كفروا ، أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً ، حتى إذا جاءه لم  
يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفّاه حسابه ، والله سريع الحساب ) <sup>(٣)</sup> ،  
وقال : ( وقد منّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ) <sup>(٤)</sup> .

[ من هم أولو الأمر الذين يأمرون بالمعروف ]

رغد أمر الله تعالى في كتابه بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من

(١) سورة الليل ، ٩٢ ، الآية ٤ .

(٢) سورة محمد ، ٤٧ ، الآية ١ .

(٣) سورة النور ، ٣٤ ، الآية ٣٩ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

المؤمنين ، كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . فإن تنازعتم في شئٍ فردّوه الى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً ) (١) .

وأولو الأمر : أصحاب الأمر وذووه . وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم ، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، وأهل العلم والكلام .

فلهذا كان أولو الأمر صنفين : العلماء والأمرء . فإذا صلحوا صلح الناس ، وإذا فسدوا فسد الناس . كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأحمسية لما سألته : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟ قال : ما استقامت لكم أئمتكم .

ويدخلُ فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان . وكلُّ مَنْ كان متبوعاً فهو من أولي الأمر .

وعلى كلّ واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به ، وينهى عما نهى الله عنه . وعلى كلّ واحدٍ يمتن عليه طاعته ( ٢٢٦ ) أن يطيعه في طاعة الله ولا يطيعه في معصية الله ، كما قال أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، حين تولّى أمر المسلمين وخطبهم فقال في خطبته :

« أيها الناس ، القويُّ فيكم الضعيف عندى حتى آخذ منه الحق . أطيعوني ما أطيعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم » (٢) .

---

(١) سورة النساء ، ٤ ، الآية ٥٩ .

(٢) انظر هذه الخطبة في جهرة خطب العرب ١/٦٧ ، والصادر المذكور هناك .

## فصل

[ لا بد في جميع الحسنات ان يراد بها وجه الله ]

وإذا كانت جميع الحسنات لا بُدَّ فيها من شيئين : أن يُرادَ بها وجه الله ، وأن تكون موافقةً للشريعة ، فهذا في الأقوال والأفعال ، في الكَلِمِ الطيِّبِ والعمل الصالح ، في الأمور العلمية والأمور العملية المبادية . ولهذا ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ أوَّلَ ثلاثةٍ تُسنَعَرُ<sup>(١)</sup> بهم جهنم رجلٌ تعلَّم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن وأقرأه ليقول الناس : هو عالم وقارىء . ورجلٌ جاهدَ وقاتل ليقول الناس : هو شجاع وجريء . ورجلٌ تصدَّق وأعطى ، ليقول الناس : هو جوادٌ وسَخِيٌّ<sup>(٢)</sup> . فإن هؤلاء الثلاثة الذين يريدون الرياء والسُّمعةَ هم بإزاء الثلاثة الذين بعد النبيين : من الصِدِّيقين والشهداء والصالحين .

فإنَّ مَنْ تعلَّم العلم الذي بعث اللهُ به رسله ، وعلمه لوجه الله ، كان صِدِّيقاً . ومَنْ قاتل لتكون كلمة الله العلياً وقُتِلَ كان شهيداً ، ومَنْ تصدَّقَ يبتغي بذلك وجه الله كان صالحاً .

ولهذا يسأل المفرطُ في ماله الرجعةَ وقتَ الموت ، كما قال ابنُ عباس ،

(١) ف « تسجر » .

(٢) رواه الترمذي ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في الرياء والسُّمعة ٧/١١٢ - ١١٤ ؛  
ومسلم في كتاب الامارة ، باب من قاتل للرياء والسُّمعة استحق النار ، ٣/١٥١٣ - ١٥١٤ ،  
ونص الحديث فيها أطول .

رضيَ الله ( ٢٦ ب ) عنها : « مَنْ أُعْطِيَ مَالًا فَلَمْ يَحِجَّ مِنْهُ ، وَلَمْ يُزَاكَّ ، سَأَلَ الرَّجْعَةَ وَوَقْتَ الْمَوْتِ » ، وقرأ قوله تعالى : ( وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ : رَبِّ ، لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ، فَأَصِدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ) (١) ، ففي هذه الأمور العملية الكلامية يحتاج الأمر أن يكون ما يُخبر به عن الله واليوم الآخر ، وما كان ويكون ، صواباً . وما يأمر به وما ينهى عنه كما جاءت به الرسلُ عن الله . هذا هو الصواب الموافق للسنة والشريعة ، المتبع لكتاب الله وسنة رسوله .

كما أن العبادات التي تتعبد بها إذا كانت مما شرّعه الله ، وأمر الله به ورسوله كانت حقاً صواباً ، موافقاً لما بعث الله به رسلكه ، وما لم يكن كذلك من القسمين كان من الباطل والبدع المضلّة والجهل . وإن كان يُسمّيه مَنْ يُسمّيه : علوماً ومعقولات وعبادات ومجاهدات وأدواقاً ومقامات .

ويحتاج أيضاً أن يأمر (٢) بذلك لأمر الله ، وينهى عنه لنهي الله ، ويخبر بما أخبر الله به . لأنّه حق وإيمانٌ وهُدًى ، كما أخبرت به الرسل . كما تحتاج العبادة إلى أن يُقصّدَ بها وجه الله . فإذا قيل ذلك لاتباع الهوى والحميّة ، أو لإظهار العلم والفضيلة ، أو لطلب السمعة والرياء ، كان بمنزلة المقاتل شجاعة وحميّة ورياءً .

ومن هنا يتبيّن لك ( ٢٧ آ ) ما وقع فيه كثيرٌ من أهل العلم والمقال ، وأهل العبادة والحال . فكثيراً ما يقول هؤلاء من الأقوال ما هو خلاف

(١) سورة « المنافقون » ، ٦٣ ، الآية ١٠ .

(٢) ف « يؤمر .. يُنهى » .

الكتاب والسنة ، أو ما يتضمّن خلاف السنّة ووافقها . وكثيراً ما يتعبّد هؤلاء بمبادات لم يأمر الله بها ، بل قد نهى عنها . أو ما يتضمّن مشروعاً محظوراً . وكثيراً ما يُقاتل هؤلاء قتالاً مخالفاً للقتال المأمور به ، أو متضمّناً للمأمور به ومحظور .

ثمّ كلٌّ من الأقسام الثلاثة : المأمور به ، والمحظور ، والمشتمل على الأمرين قد يكون لصاحبه نيّة حسنة ، وقد يكون متبعاً لهواه ، وقد يجتمع له هذا وهذا .

فهذه تسعة أقسام في هذه الأمور . وفي الأموال المنفقة عليها من الأموال السلطانيّة : الفيء وغيره ، والأموال الموقوفة ، والأموال الموصى بها ، والمنذورة ، وأنواع العطايا ، والصدقات ، والصلات . وهذا كلّهُ من لبّس الحقّ بالباطل ، وخلط عمل صالح وآخر سيّء .

والسيّء من ذلك قد يكون صاحبه مخطئاً أو ناسياً فهو مغفور له ، كالجهتد المخطيء الذي له أجرٌ ، وخطبؤه مغفور له . وقد يكون صغيراً مكفراً باجتناب الكبائر ، وقد يكون مغفوراً بتوبة ، أو بحسنات تمحو السيئات ، أو مكفراً بمصائب الدنيا ، ونحو ذلك .

إلا أنّ دين الله الذي أنزل به كتبه ، وبعث به رسله ، ما تقدم : من إرادة الله وحده بالعمل الصالح ( ٢٧ ب ) .

[ لا يقبل الله من أحد غير الاسلام ]

وهذا هو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من أحدٍ غيره . قال تعالى :

( وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ )<sup>(٢)</sup> .

### [ معاني الاسلام ]

والاسلام يجمع معنيين. أحدهما الاستسلام والانقياد، فلا يكون متكبراً. والثاني : الاخلاص ، من قوله تعالى : ( وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ )<sup>(٣)</sup> فلا يكون مشتركاً، وهو أن يُسلم العبدُ لله ربَّ العالمين . كما قال تعالى : ( وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : اسْمُ . قَالَ : أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ : يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ )<sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ( قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . دِينًا قَبِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ )<sup>(٥)</sup> .

والاسلام يُستعمل لازماً معدّي بحرف اللام ، مثلما ذكر في هذه الآيات . ومثل قوله تعالى : ( وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ١٨ - ١٩ .

(٣) سورة الزمر ، ٣٩ ، الآية ٢٩ ، وسلماً معناها خالصاً .

(٤) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٣٠ - ١٣٢ .

(٥) سورة الأنعام ، ٦ ، الآيات ١٦١ - ١٦٣ .

العذاب ، ثم لا تُنصرون (١) ، ومثل قوله تعالى : ( قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي ( ٢٨ آ ) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) (٢) ، ومثل قوله تعالى : ( أفغیر دین الله ینغون ، وله أسلم من فی السموات والأرض طوعاً وکرها وإليه یرجعون ) (٣) . ومثل قوله تعالى : ( قل أنشدعوا من دون الله ما لا ینفعنا ولا یضرنا ، ونزد علی أعقابنا بعد إذ هدانا الله ؟ کالذی استهوته الشیاطین فی الأرض حیران ، له أصحاب یدعونه الی الهدی أنینا . قل إن هدی الله هو الهدی ، وأمرنا لنسلم لرب العالمین ) (٤) .

وُستعمل متعدياً مقروناً بالإحسان . کقوله تعالى : ( وقالوا لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری . تلك أمانیهم . قل : هاتوا برهانکم إن کتم صادقین . بلی ، من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ، ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون ) (٥) ، وقوله تعالى : ( ومن أحسن دیناً یمن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهیم حنیفاً ، واتخذ الله إبراهیم خلیلاً ) (٦) فقد أنکر الله أن یشکک دین أحسن من هذا الدین . وهو إسلام الوجه لله مع الإحسان . وأخبر أن کل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ، ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون .

(١) سورة الزمر ، ٣٩ ، الاية ٥٤ .

(٢) سورة النمل ، ٢٧ ، الاية ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران ، ٣ ، ٨٣ .

(٤) سورة الأنعام ، ٦ ، الاية ٧١ .

(٥) سورة البقرة ، ٢ ، الاية ١١١ ، ١١٢ .

(٦) سورة النساء ، ٤ ، الاية ١٢٥ .

أثبتت هذه الكلمة الجامعة ، والقضية العامة ردّاً لمزاعم من زعم أنه لا يدخل الجنة إلاّ "متهوداً أو متنصر".

[ معنى اسلام الوجه لله ]

وهذان الوصفان ، وهما اسلام الوجه لله ، والإحسان ، هما الأصلان المتقدمان . وهما كون العمل خالصاً لله ( ٣٨ ب ) ، صواباً موافقاً للسنة والشريعة .

وذلك أنّ اسلام الوجه لله هو متضمن القصد والنية لله ، كما قال بعضهم :

استغفر الله ذنباً لست 'مُحْصِيه' ربّ العباد اليه الوجه والعمل'

وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ : اسلام الوجه ، وإقامة الوجه ، وتوجيه الوجه . كقوله تعالى ( وأقيموا وجوهكم عند كلِّ مسجد ) (١) ، وقوله تعالى : ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فطِْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) (٢) ، وكقول الخليل عليه السلام : ( إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ، وما أنا من المُشْرِكِينَ ) (٣) . وكذلك كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته من الليل : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وما أنا من المُشْرِكِينَ »

(١) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الروم ، ٣٠ ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأنعام ، ٦ ، الآية ٧٩ .

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنها أن النبي ﷺ علمه أن يقول إذا أوى الى فراشه : « اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك - الحديث » (١) .

فالوجه يتناول المتوجه ، بكسر الجيم ، والمتوجه ، بفتح الجيم - اليه ، ويتناول المتوجه نحوه . كما يقال : أي وجه تريد ؟ أي أي وجهه وناحية تقصد . وذلك أنها متلازمان . فحيث توجه الانسان توجه وجهه ، ووجهه مستلزم لتوجهه . وهذا في باطنه وظاهره جميعاً . فهي أربعة أمور . والباطن هو الأصل ، والظاهر هو ( ٢٩ ) الكمال والشعار . فإذا توجه قلبه الى شيء تبعه وجهه الظاهر .

فإذا كان العبد قصدُهُ ومُرَادُهُ وتوجهُهُ الى الله ، فهذا صلاح إرادته وقصده . فإذا كان مع ذلك مُحسناً فقد اجتمع له : أن يكون عمله صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً . وهو قول عمر رضي الله عنه : « اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً » .

[ تعريف العمل الصالح ]

والعملُ الصالح هو الإحسان . وهو فعل الحسنات ، وهو ما أمر الله به . والذي أمر الله به هو الذي شرعَهُ (٢) ، وهو الموافق لكتاب (٣) الله وسنة

(١) انظر صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، الحديث ٥٧ - ٤/٢٠٨٢ .

(٢) ف « شرعه الله » .

(٣) ف « لسنة الله » .

رسوله . فقد أخبر الله تعالى أن من أخلص قصده لله ، وكان محسناً في عمله ، فإنّه مستحقٌ للثواب سالم من العقاب .

ولهذا كان أئمة السلف ، رحمهم الله ، يجمعون هذين الاصليين . كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ( ليلبوكم أيكم أحسن عملاً ) ( ١ ) قال : « أخلصه وأصوبه . فقيل : يا أبا عليّ ! ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إنّ العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ولم يُقبل . وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله . والصواب أن يكون على السنّة . »

وقد روى ابن شاهين واللالكائي عن سعيد بن جبّير قال : « لا يُقبل قولٌ إلاّ بعمل ، ولا يُقبل قولٌ وعملٌ إلاّ بنية ، ولا يُقبل قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلاّ بموافقة السنّة . » وروى عن الحسن البصريّ مثله ، ولفظه « لا يصلح ، مكان « لا يُقبل » .

وهذا فيه ردٌّ على المرجئة الذين يجعلون ( ٢٩ ب ) مجرد القول كافياً . فأخبر أنّه لا بُدّ من قولٍ وعملٍ ، إذ الايمانُ : قولٌ وعملٌ ، لا بُدّ من هذين . كما قد بسطناه في غير هذا الموضع ، وبيّنا أنّ مجرد تصديق القلب ونطق اللسان ، مع البغض لله ولشرائعه والاستكبار على الله وشرائعه لا يكون ايماناً باتفاق المؤمنين ، حتى يقترن بالتصديق عملٌ صالح .

وأصلُ العمل عملُ القلب ، وهو الحبُّ ، والتعظيم المنافي للبغض والاستكبار .

---

(١) سورة الملك ، ٦٧ ، الآية ٢ .

ثم قالوا : لا يُقبل قول وعمل إلاّ بنيةً ، وهذا ظاهر . فإنّ القول والعمل اذا لم يكن خالصاً لله تعالى لم يقبله الله .

ثم قالوا : ولا يُقبل قول وعملٌ ونيةٌ إلاّ بموافقة السنّة . وهي الشريعة ، وهي ما أمر الله به ورسوله ﷺ . لأنّ القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشروعاً ، قد أمر الله به - يكون بدعةً . وكلّ بدعة ضلالة ، ليس مما يحبّه الله ، فلا يقبله الله ، ولا يصلح ، مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب .

[ معنى السنة في كلام السلف ]

ولفظُ « السنّة » في كلام السلف يتناول السنّة في العبادات وفي الاعتقادات . وإنّ كان كثير ممّن صنّف في السنّة يقصدون الكلام في الاعتقادات . وهذا كقول ابن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وأبي الدرداء ، رضي الله عنهم : « اقتصاد في سنّة ، خيرٌ من اجتهاد في بدعة » ، وأمثال ذلك . والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا .

هذا آخر كلام الشيخ رضي الله عنه .

نقله من أصل قديم الفقير لعفو ربه موهوب بن احمد بن هلال الصالح الحنبلي غفر الله له ذنوبه بمنه وكرمه . ووافق الفراع منه سلخ سنة اربعين وثمانماية بالمدرسة الجوزية بدمشق .

والحمد لله رب العالمين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

## فهرس مضمونات الرسالة

٨ - ٥	. . . . .	مقدمة المحقق
٩	. . . . .	بدء الرسالة
١٠	. . . . .	الأمر بالمعروف عند نبينا والأنبياء السابقين
١١	. . . . .	هذه الأمة خير الأمم للناس
١٥	. . . . .	ما هو المعروف وما هو المنكر
١٧	. . . . .	ليكن أمرك بالمعروف ، بالمعروف
١٧	. . . . .	في الأمر بالمعروف لا بد أن تكون المصلحة راجحة
١٨	. . . . .	كيف يكون الأمر بالمعروف ...
١٨	. . . . .	واقع الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٠	. . . . .	يجب الصبر على جور الأئمة
٢٠	. . . . .	قتال الأئمة عند اهل السنة والمعتزلة
٢٠	. . . . .	القاعدة التي تتبع في الأمر والنهي
٢١	. . . . .	يجب رد كل شيء الى ميزان الشريعة
٢٣	. . . . .	حب القلب وبغضه
٢٣	. . . . .	حقيقة الهوى
٢٤	. . . . .	إتباع الأهواء في الديانات السابقة
٢٦	. . . . .	حب الانسان وبغضه يجب أن يكونا موافقين لأمر الله ورسوله
٢٦	. . . . .	ما هو العمل الحسن
٢٨	. . . . .	العمل لا يكون إلا بعلم وفقه
٢٩	. . . . .	لا بد في الأمر والنهي من الرفق والحلم والصبر

٣١	.	.	.	.	.	.	صعوبة هذه الشروط
٣٢	.	.	.	.	.	.	ما عاقب الله به الأمم السابقة لمعاصيهم
٣٣	.	.	.	.	.	.	عقوبة أهل السيئات في الدنيا والآخرة
٣٦	.	.	.	.	.	.	أول ما نزل من القرآن الوعد والوعيد
٣٦	.	.	.	.	.	.	اختلاف الناس في الأمر والنهي سبب التفرق
٣٧	.	.	.	.	.	.	المعاصي مشتبهة في الطباع
٣٨	.	.	.	.	.	.	الشحّ سبب الغرور
٣٩	.	.	.	.	.	.	انواع الذنوب
٤٠	.	.	.	.	.	.	استقامة امور الناس بالعدل
٤٠	.	.	.	.	.	.	طبيعة النفس : العلو والحسد والظلم
٤١	.	.	.	.	.	.	انواع الناس في ذلك
٤٤	.	.	.	.	.	.	اختلاف الأمة في المقالات والعبادات
٤٧	.	.	.	.	.	.	يجب مقابلة السيئات بالحسنات
٤٨	.	.	.	.	.	.	عظم المحنة سبب لعلو الدرجة
٤٨	.	.	.	.	.	.	لا بد من الصبر على فعل الحسن
٤٩	.	.	.	.	.	.	ولا بدّ من اليقين
٥٠	.	.	.	.	.	.	ذم البخل والجبن
٥١	.	.	.	.	.	.	انواع البخل
٥٢	.	.	.	.	.	.	ذم الجبن
٥٣	.	.	.	.	.	.	لا يتم صلاح بني آدم الا بالشجاعة والكرم
٥٥	.	.	.	.	.	.	ما هي الشجاعة - عود الى الصبر وأنواعه
٥٧	.	.	.	.	.	.	النهي عن تعدّي الحدود
٦٠	.	.	.	.	.	.	المحمود من الحمية والشجاعة
٦٢	.	.	.	.	.	.	الاخلاق التي يحتاج اليها المؤمن
٦٢	.	.	.	.	.	.	التعلّل بالخوف من الفتنة لترك الأمر بالمعروف

- ٦٥ . . . . . لا بد لكل انسان من الأمر والنهي
- ٦٦ . . . . . بنو آدم لا يعيشون الا بالاجتماع .
- ٦٧ . . . . . الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم
- ٦٨ . . . . . من هم اولو الأمر الذين يأمرون بالمعروف
- ٦٩ . . . . . لا بد أن يراد وجه الله في جميع الحسنات
- ٧٢ . . . . . لا يقبل الله من أحد غير الاسلام - معاني الاسلام
- ٧٤ . . . . . معنى اسلام الوجه لله .
- ٧٦ . . . . . تعريف العمل الصالح
- ٧٧ . . . . . معنى السنة في كلام السلف